سلسلة البحوث الدينية

المسيحية وفلسفة العلم

القس أمير جيد

اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية

المسيحية وفلسفة العلم

بقلم

القس أمير جيد



طبعة ثالثة

صدر عن دار الثقافة المسيحية ص. ب. ١٣٠٤ ــ القاهرة

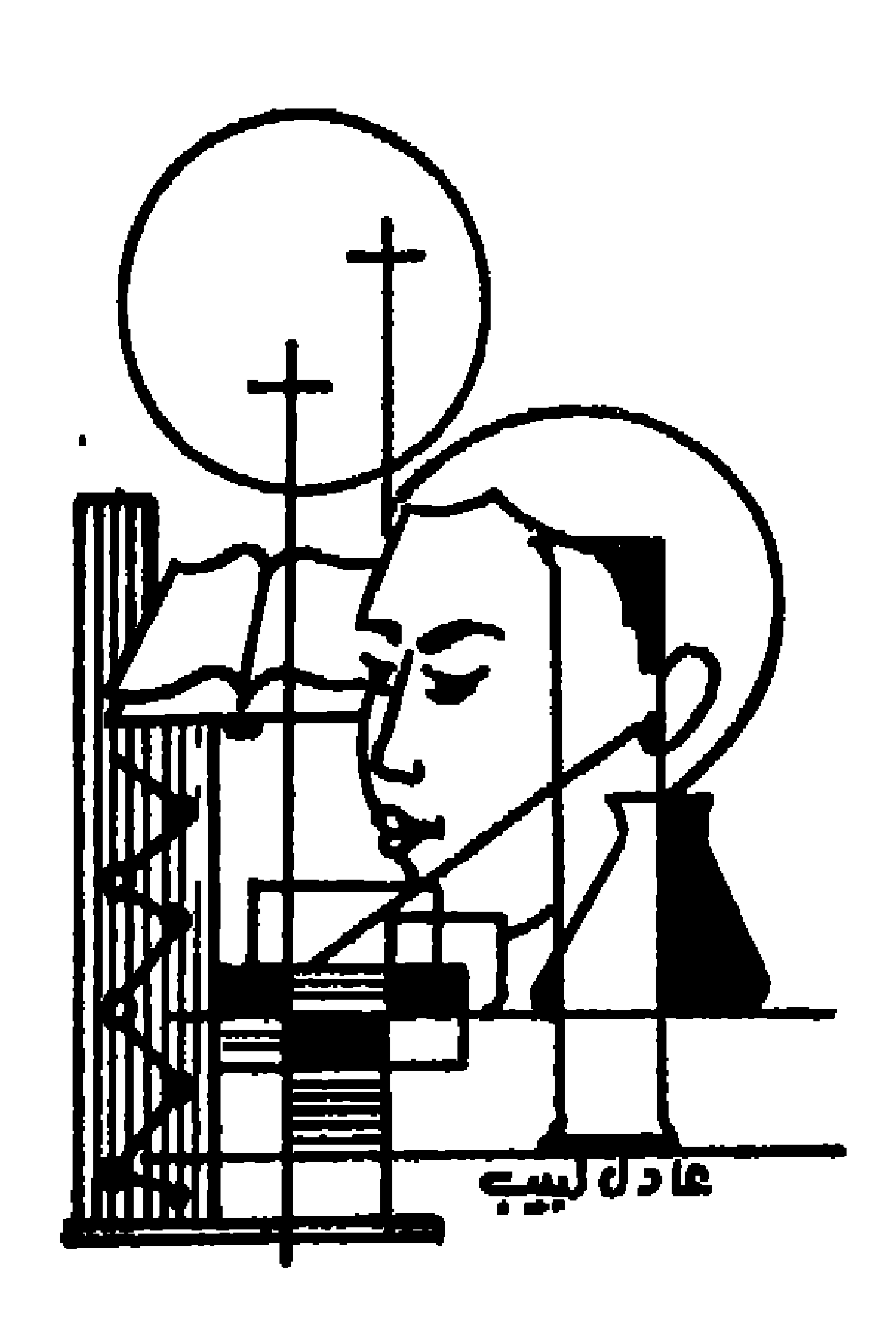
١٦٦/١٠ ــ ط ٦٨/٣ ــ ٧٧ (أ) ٢ ــ ٥

رقم الايداع ١٩٧٧/٢٣٦٠ رقم الدولى ٨ ــ ٦٥٧ ــ ٩٧٧/٢٤٦
طبع بمطبعة : **دار الجيل بالفجالة**

في هذا الكتاب

الفصل الأول

عرض وتقديم



اننا نعيش اليوم فى عصر تقدم فيه العلم تقدما عظيما حتى تغيرت حياة اليوم عن ملامح الأمس ، ورأت عيوننا تطور غريبا فى مظاهر الحياة اليومية لم نكن نعرفه من قبل . ومامن شك فى أننا فى عصر علمي يشق طريقه الى آفاق عجيبة مدهشة . فقد تنوعت بحوث العلوم فى القرن العشرين ، وتعددت مراجع البحث فى كل علم منها . ومنذ أن دبت الحياة فى هذا الكون والانسان يسعى وراء نور المعرفة جريا وراء المجهول . وتقدم الفكر من جيل الى آخر حتى وصل مرحلة من النضج الكامل فى جيلنا الحاضر ، ومن ثم بدأت الانسانية تصعد الى قمة المعرفة عندما توجت أعمالها بما حققته عن طريق الطاقة الذرية وعصر الفضاء .

ولكن لماذا ضعف الايمان بالله فى عصرنا الحاضر وأين الله من هذه الصورة العلمية التقدمية للحياة ؟ هل أقصانا العلم عن ديننا فجعلنا نستغنى عن مسيحيتنا بسبب الأعجاز البشرى الذى وفرت به المخترعات الحديثة الكثير من الاحتياجات التي كنا نهرع من أجلها الى الخالق

نطلبهـا منه ؟ وهل يدعونا العلم للشـك فى الله أم أنه يجعلنا ندركه حقيقة واختبارا بصورة أعظم وأروع ؟

اننا نأسف ونحن نرى الشـباب الجـامعى يجد الجو العلمى يتعارض مع بعض ما تلقنه فى الصغر من حقائق الدين وتكون المأساة ، فيضحى الشباب المسيحى بالدين على مذبح العلم . ولكن ذلك التصرف من شبابنا عمل سطحى يتسم بالتسرع الأهوج الذى لا يدل على نضوج الفكر . فقد يذهب الذين يفسرون نصوص الدين الى أبعد حدود التأويل والافتراء : وغالبا ما يضيـفون الى حقائقه أمورا لم يقصدها الدين على الاطلاق . ونضيف على ما سبق أن الاكتشـافات العلمية التى كانت تعتبر حقائق ثابتة قد أثبت العلم أنها ليست صحيحة أو أنها على الأقل جزء من الحقيقة . وهكذا نرى أنه ليس من الضرورى أن يتراجع الدين فى كل مرة أمام العلم ، وليس من اللازم أن يضحى شبابنا بالدين على مذبح العلم كشرط للنبوغ فيه .

وان كانت بعض الديانات الأخرى قد ذهبت فى تفسيرها وتأويلها الى حد الخرافات التى أثبت العلم أنها ليست على حق فيما تقوله عن الله ، فهل معنى ذلك أنه لا يوجد اله وأن يصل بنا الأمر الى رفض كل دين والاستغناء عنه

وبسبب التقدم الجبار الذى أحرزه العلم ، اعتقد كثيرون أنه فى الامكان الاستغناء بالكلية عن الدين . وليس المشكل فى أن العلم قد كسر شوكة الدين ، وظفر عليه فى كل الميادين بل الاشكال كل الاشكال فى أن الناس يعتمدون على العلم اليوم فى حل كل معضلات الحياة دون حاجة الى الدين . ففى الماضى كان الانسان ينشد الدين مساعدته فى حل مشكلاته ودفع الأخطار عنه . أما اليوم فانه يولى شطر العلم ليجد فيه العون الأقوى .فقديما حينما كانت الأمراض والأوبئة الفتاكة تجتاح البلاد ، كانت جموع البشر تتدفق على المعابد والكنائس تصرخ الى الله أن ينجيها عنها ذلك الموت الرهيب . أما اليوم فالناس تسرع الى المستشفيات ، ومراكز التطعيم ، والمعازل الصحية ، حتى

ظن الآدميون أنهم يستبدلون الصلاة والابتهال بمصل وقائى أو علاجى . وظنت البشرية أن فى العلم الكفاية .. وهكذا أرغم الدين أن ينكمش فى محيطه الخاص ، ويركز اهتمامه فى نطاقه المحدود ؛ ألا وهو نطاق الروح .

ولكن دائرة الروح هى كل شىء فهى أكثر اتساعا من أية دائرة أخرى . فالعلم الذى تغلب على معضلات كثيرة يعجز أمام النفس البشرية وما يعتريها ؛ عجزا كاملا فلا يقدر أن يكشف حقيقة هذه النفس ولا أن يغير من مسلكها أو أن يرفع من مستواها . ان الدين وحده هو الذى يقوم شخصية الانسان . انه الذى يعين الهدف أمامه ، ويعينه على الوصول الى هذا الهدف . ان الديانة هى التى تنمى ملكات الانسان وهى التى تعلمه عن الله ، وعن الطريق اليه . انها التى تخلصه من الخطية فى هذا العالم ، ومن عقاب الخطية فى العالم الآتى ؛ وتجعل أمامه بابا للرجاء . فان كان العلم قد مد يد المعونة لجسد الانسان فالانسان أكثر من جسد .. انه روح تحتاج الى قوت

روحى يرعاها ويهديها • انه روح من الروح الكُلى ، روح تشتاق الى الله الذى هو روح ،وليس من يشبع شوق قلب الانسان وتعطشه الا الدين ، فالانسان يحتاج الى ما هو أعظم من المادة ، والدين هو الذى يسدد له هذه الحاجة • اننـــا نرى أن العلم يتطــور ويتغـــير ، وقد تلغى احدى النظريات الجديدة بعض النظريات القديمة ولا يمكن أن نجد لنفوسنا أمانا أكيدا فى العلم بدون الله • وهل يمكن أن يعتمد الدين بحقائقه الثابتة على العلم المتغير فى صحة دعواه ؟

أما الحقيقة التى نسوقها اليوم ، والتى لاشك فيها ، انه كلما تقدم العلم ، اقترب الانسان من الله وأدرك قدرته السرمدية ولاهوته • وان كنا نسجد الله ونحن نخشع عند سماع كلمته ؛ نمجده أكثر فأكثر ونحن نتعبد له فى محراب العلم والبحث والمعرفة • أما التيارات الكثيرة من المادية والحادية التى ظهرت على مر العصور والأجيال فمردها لاالى العلم الصحيح بل الى « مخالفات العلم الكاذب ، الاسم الذى

اذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الايمان » (١ تى ٦ : ٢٠) •
ان العلم الصحيح لا يناقض الدين الصحيح ؛ وان كان يحدث ثمة خلاف أحيانا بين بعض رجال العلم وبعض رجال الدين ، هذا لا يعنى بأى حال من الأحوال خلاف بين العلم والدين • وقد قال الفيلسوف الفرنسى باكون : « ان القليل من المعرفة قد يسوق الى الكفر والالحاد •• ولكن التعمق فى الفلسفة الطبيعية يهدى العقول والأفهام الى الدين والى الله » •

وأبعاد القضية بين المسيحية والعلم تمتد الى أبعد من ذلك • انها تمتد لترجع بنا الى الوراء عندما بلغ العصر الذهبى للفلسفة الطبيعية ذروته فى القرن التاسع عشر • وكانت تلك الفلسفة تبرهن على وجود خطة مرسومة فى الخلق • وكان الفيلسوف الطبيعى يسترعى الانتباه الى براعة تكوين العين البشرية بما تحويه من تنظيمات تلسكوبية وميكروسكوبية والعمليات الكيماوية الفريدة التى تقوم بها الكائنات الحية • كان الفيلسوف يرى هذه بعين

الفلسفة براهين قاطعة على وجود خطة وتدبير فى الطبيعة وبالتالى على وجود الخالق المدبر •

وبلغ مدى الاقتناع بهذا التعليل أن خصصت الجمعية الملكية البريطانية مبلغ ٤٨,٠٠٠ دولار لعمل بحوث فى مختلف ميادين العلم لتثبت بها بشكل قاطع وجود الله • وجاءت النتيجة اثنى عشرة مجلدا كتبها أعضاء الجمعية تبين بشكل حازم وجود تصميم فى الخلق ، ودلت فلسفة ذلك العمل على وجود الكائن الالهى الأعلى •

وليس أدل على تصوير الصراع بين العلم والدين من الكتابين اللذين ظهرا فى مستهل هذا القرن • خرج الكتاب الأول بقلم أحد علماء الغرب وهو جوليان هكسلى Julian Huxley وجعل عنوانه الانسان ليقف وحده Man Stands Alone وقد زعم المؤلف فى كتابه أن العلم ينكر وجود الله • وقد عبر المؤلف عن عقيدة دعاة الالحاد الذين احتجوا لدعوتهم بأدلة يحسبونها علمية • وكان من

ثمار ذلك أن ظن البعض أن العلم والدين نقيضان لا يجتمعان • ان جوليان هكسلي صاحب « الانسان يقف وحده » يسير على درب سار عليه جده من قديم • فجده توماس هكسلي صاحب داروين ـ واضع نظرية التطور والارتقاء ـ وناصره فى القرن الماضى •

أما الكتاب الثانى فخرج بقلم أحد كبار العلماء المؤمنين وهو كرسى موريسون Cressy Morrison الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بمدينة نيويورك الذى قدم كتابه تحت عنوان « الانسان لا يقوم وحده » Man does not stand Alone وكان بذلك يتصدى لنزعة الالحاد التى تزعمها وقادها هكسلى • وقد برهن المؤلف بالبراهين القاطعة على أن عجائب علاقات الانسان بالطبيعة ، ووجود الحياة نفسها ، تتوقف على وجود الله الخالق ، وعلى وجود قصد من خلق الكون ، ويتمثل هذا القصد فى اعداد نفس الانسان للحياة الأبدية • وقد أثبت المؤلف أن العلم الصحيح يقود الى الايمان الصحيح •ولا ريب أن الموضوع

الذى عالجه الكتاب هو موضـــوع اليوم ، فقد انتشرت الالحادية ، وزعم الملحدون أنهم ينكرون الايمان المسيحى على أساس من العلم . ولكن ها هو عالم كبـير يؤيد الايمان المسيحى ببراهين من أحدث العلوم .

واذا كان علينا أن نبحث العلاقة بين العلم والمسيحية ، وجب علينا أن نبحث أولا فى قيمة الحركة العلمية ومداها . ولا يحتاج الأمر أن ندلل على أن هذه الحركة قد طبعت أثارها على حياة الجنس البشرى وتفكيره . ونحن نواجه اليوم مشـــاكل الحضارة الصناعية التى تبحث عن العلوم التطبيقية ، ونعيش فى عصر تكاثرت فيه الكشوف العلمية الجـــديدة ، الأمر الذى كان له أثره العميـــق فى الوجود البشرى وفى تبديل مقاييس الحياة من زمان ومكان .

وحين يتحدث الناس عن العلم تأخذهم الرهبة ، وكأنما هو اله أو شيطان خلق عالما جديدا اكتنفته كل أســباب

الذعر والهلع • وينظر المسيحيون الى العلم نظرة مشبعة بالشك والرهبة والخوف •

أما الذين يبحثــون فى ماهية العلم يميلون الى اقترانه بطــريقة جديدة فى البحث تقتضى فنا جديدا فى التجربة والمشاهدة والاستنتاج والفرض والتحقيق • وهذه الطريقة هى التى جعلت الانسان يستبدل فكره عن العالم المشوش بعالم دقيق خاضــع لقيود أحكام نواميس طبيعية جامدة صارمة • وعندما يجمع العالم المعلومات والفروض يتولى درسها وبحثها ثم يقارنها وينسبتها فيكون منها نظرية أو رأيا • ثم يختبر ما وصل اليه عن طريق التجربة ، ويحققه على ضوء الامــكانيات الأخرى • ثم يراجع النتائج على ضوء الحوادث السابقة فى الموضوعات المشابهة • ثم يوازن ما لديه من معرفة عامة متعلقــة بالموضــوع • والطريقة العلمية فى أبسط صورها يرجع تاريخها الى نشأة الجنس البشرى •

ولما بدأت نهضـــة احياء العلوم ، كانت النواة للحركة العلمية الدافعة فيما بعد . فقد تم طبع التراث الفلسفى فظهـــرت كتب أفلاطون وبلوتينوس ، وهذه أحيت علم اللاهوت النظرى الذى شغف به الايطاليون ، وأعقبهم اراسموس ولوثر وعهد الاصلاح . وجاء بعد ذلك ترجمة مؤلفات الطبيب اليونانى ديوسقوريوس ، ثم بلينى عالم الطبيعة اللاتينى . وظهر كتاب الحيوانات الذى صـــنفه العلامة كونراد فى زيورخ وهو باكورة علماء علم الأحياء فى العصر الحديث . وبعد ذلك تجىء مؤلفات العـــلامة الفلـــكى كوبرنيـــكوس ، وبعده ظهرت بحوث العلامة جاليليو . على أن هذه كلها كانت بحوثا تجريبية مشوبة ببعض التحيز الفكرى ، ولكنها كانت دليلا على المغامرة والاستكشاف .

وفى القرن الســـابع عشر أخرج فرانسز باكون مؤلفاته الكثيرة التى نخرج منها بأن كل المعارف الطبيعية يجب أن ينظر اليها كوحدة واحدة . وبعده قام الأسقف التشيكى

جون ايموس كومينوس وسافر فى أوربا كلها سعيا وراء تأسيس كليات لدراسة الدين والفن والعلم والفلسفة .

وجاء القرن الثامن عشر فظهر البحث فى الطبيعة والكيمياء وبهر اسحق نيوتن العالم بأبحاثه التى أدت الى نظرية الجاذبية وارتفع شأن العلوم الرياضية حتى شملت كل شيء وتوغلت فى الفلسفة الطبيعية . بكل ميادينها .

وفى القرن التاسع عشر سلم العلماء بدليل القصد الأعلى المعلن فى سلطان الناموس الطبيعى ، واعتزوا به كالدليل الوحيد الذى يقدمه الدين فى العالم الطبيعى . على أن العلم فى ذلك الوقت كان يصر على أنه معنى فقط بدراسة ما يوزن وما يقاس .ومرة سأل نابليون أحد علماء عصره لماذا أغفل الله فى كتابه عن تكوين العالم ؟ أجاب العالم لست بحاجة الى هذا الفرض . وهذا يرينا اتجاه تفكير علماء هذا العصر .

الفصل الثانى

العلاقة بين الدين والعلم



يعتمد العلم على العقل فى فهم حقائق الكون والحياة ، ويعتمد الدين على الايمان « لأننا بالايمان نفهم أن العالمين اتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر » (عب ١١ : ٣) . ووسائل العلم هى الفرض والتحقيق ، ووسائل الدين هى « الثقة بما يرجى والايقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) .

وشتان بين اعتماد العلم على العقل ، واعتماد الدين على الايمان . والفرق شاسع بين الفرض والتحقيق أمام الثقة والايقان . وان كان الفرق بهذا الاتساع ، فهل يمكن أن تقوم علاقة بين الدين والعلم ؟ أليس الأجدر أن يعتمد العلم على نفسه وكذلك الدين ويسير الاثنان كل واحد فى طريقه وفى اتجاهه ؟؟ وأليس من الأصلح أن تنفصل كل من النظرة العلمية والدينية للانسان ؟ ولكن ألا تسلمون معى أن اختلاف النظريتين العلمية والدينية للانسان الواحد قد يقوده للالتباس فى حياته والانقسام فى شخصيته ، والازدواج فى تفكيره ، وهذا أسوأ ما يصاب به انسان .

اننا نؤمن أن العالم المسيحى المؤمن لابد وأن تتفق عنده هاتين النظرتين والا نبذ احداهما فى سبيل احتفاظه بالأخرى « ولا يقدر أحد أن يخدم سيدين • لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر » (مت ٦ : ٢٤) •

طالب العلم باحث عن الحقيقة العلمية أينما وجدت ليحل أسرار الكون ويسخر قوى الطبيعة ويكشف لغز الحياة • وطالب الدين باحث عن الحقيقة الروحية : النفس والحياة والموت وما بعد الموت ، والله وجوده وعمله • ولا يمكن أن تختلف الحقيقة عند باحث العلم وباحث الدين ، الا أن كلا منهما قد ينظر الى الحقيقة الواحدة من جانب معين • ولكن هاتين النظرتين تلتقيان عند الحقيقة الكبرى ذاتها وهى الله الخالق بحكمته وقدرته اللانهائيتين •

عندما بدأ العلم نشأ فى دائرة ضيقة جدا لم تكن تشمل شيئا سوى معرفة القراءة والكتابة وبعض مبادىء الحساب

البسيطة . وكان الشـــخص الذى يحقق هذا المستوى من العلماء . وبدأت الدائرة تتسع حتى شملت اللغة ثم الفلسفة والمنطق ثم دخلت الهندسة وبعدها الفلك . أما الآن فقد اتسعت دائرة العلم حتى ضمت علوم لا حصر لها ، وظهر ميدان جديد من العلوم هو ميدان الفنون ضم الموسيقى والرسم وغيرها . وتطور العلم أخيرا فى دراسة الظواهر الطبيعية ، وعلم الأحياء بفروعه العديدة ، وعلوم الفضاء الواسعة ، وله فى كل يوم فتح جديد .

يقول قاموس وبستر فى تعريف العلم :

« العلم هو المعرفة المنظمة للحقائق والمبادىء الأولية . وهو المعـــرفة التى يقبلها العقل مجتمعة معا ، دخل اليهـــا المنطق الفلسفى فشكلها من جديد وربطها مع بعضـــها البعض ومع غيرها من الاكتشـــافات والحقائق والقوانين والمعارف الأخرى ، ثم صاغها فى قالب واحد متماسك فى متناول التطبيق » .

ويقول القديس توما الكمبيسى : « يبدأ الايمان حيث ينتهى العلم » •

لقد آمن الناس بالعلم لأنه يسـخر العقل فحسـب ، وحسـبوا أنهم يفهمـون به كل شيء من طريق المنطق والقياس ، ومن طريق القضايا والبراهـين • فلما اختلطت عليهم الأمور وقصر بهم العقل دون العلم بالمحسـوسات فضلا عن المغيبات ـ تحولوا الى التجربة العملية الحسية ووقفوا عليها جهود العلم الحديث ، فلا علم بغير سند من الحس والتجريب •

ويقول ذات القاموس « وبستر » فى تعريفه العام للدين : « الدين هو شـكل من العمل الخارجى المنظور يبين به الناس اعترافهم بوجود اله ؛ له السيطرة على أقدارهم ، وله يقدم الاجلال والطاعة والخدمة • أما الشعور بالمحبة أو الخوف فينبعان من مصدر الهى قوى فوق الانسان » •

أما التعريف الخاص للدين على الصعيد المسيحى فهو :
« الثبات فى الايمان الأقدس والمعيشة بوصايا الوحى الالهى فى الكتاب المقدس . ويترجم الايمان نفسه فى سلوك معين فى الحياة يرعى الواجب من نحو الله والناس » .

والعقيدة الدينية فى أبسط تعريف لها « كل ما يشتمل عليه وجدان الانسان من احساس ومشاعر روحية سامية » ولا نعني بالدين ما تشتمل عليه أوراقه ومجلداته أو متاحفه ومحفوراته . ان العقيدة الدينية طريقة حياة لا طريقة فكر ولا طريقة دراسة ، ونعنى بالعقيدة الدينية حاجة النفس وما يملأ القلب ، لا ما يملأ الرءوس أو الصفحات .

وقد استحسن العلماء مذهب وليم جميس الفيلسوف الأمريكى فى تلخيص جوهر الدين . وملخص مذهبه أن الدين هو الايمان بالبقاء وأن هذا البقاء مرهون بوجود قوة صديقة للانسان وراء الظاهرة الكونية أو المادة العمياء .

ولا غبار من اقتباس كلمـات جوليان هكسـلى عالم الاحياء المتطرف عندما وصف العقيدة الدينية بالكلمات التالية : « لا يزال الشعور بالقداسة كامنا فى قرارة العقيدة الدينية ، ولا يزال كامنا فيها كذلك الشـعور بالتسـليم والاتكال على الله لأن الانسان محوط بقوى كثيرة غامضة لا يستطيع فهمها ، ولا يستطيع السيطرة عليها . ويدخل فى التدين نزوع الى التوضيح والتفسير والادراك اذ يعلم الانسـان أنه محوط بالخفايا والأسرار ويطلب منها على الدوام أن تكون ذات معنى . الا أن الشعور بالقداسة هو أعمق الأسـس فى عناصر الدين ، وهو لباب كل حاسـة جديرة أن توصف بالصفة الدينية ولولاها لما كان للانسان ديانة على الاطلاق » .

وفى كتاب الفرد وديانته الذى كتبه جوردون ألبورت
G. Allport, The Individual and his Religion
أسـتاذ علم النفس بجامعة هارفارد ، يتساءل الكاتب هل الايمـان والاعتقاد شىء واحد ؟ فيقـول ان الكلمتـين

تستخدمان أحيانا بمعنى واحد ، وهما فى بعض المواطن تعبران عن معنيين مختلفين ، لأن التسليم غالب على الايمان . أما الاعتقاد فيقترن أحيانا بمعرفة بعض الأسباب ولو من قبيل التقدير والترجيح . ويبدو أن الايمان أحر شعورا من الاعتقاد ، فهو يجازف على علم بالمجازفة لأنه يشعر بأن الثقة أقوى ونتيجة المغامرة أنفس وأغلى !

ويفرق البورت بين الشعور الدينى الخالص وبين الشعور الذى يمتزج بالخوالج النفسية الأخرى . فقال : « ان أبسط وسيلة نبتدىء بها هى الرجوع الى تعبيرات القديسين » فقد قال القديس توما الكمبيسى فى آخر صلاته : « ان أشواقى كلها تتنهد اليك » كما قال أيضا فى عظة قصيرة : « لو كان الله هو صفوة المقاصد التى تتشوق اليها لما خامرنا القلق بهذه السهولة » .

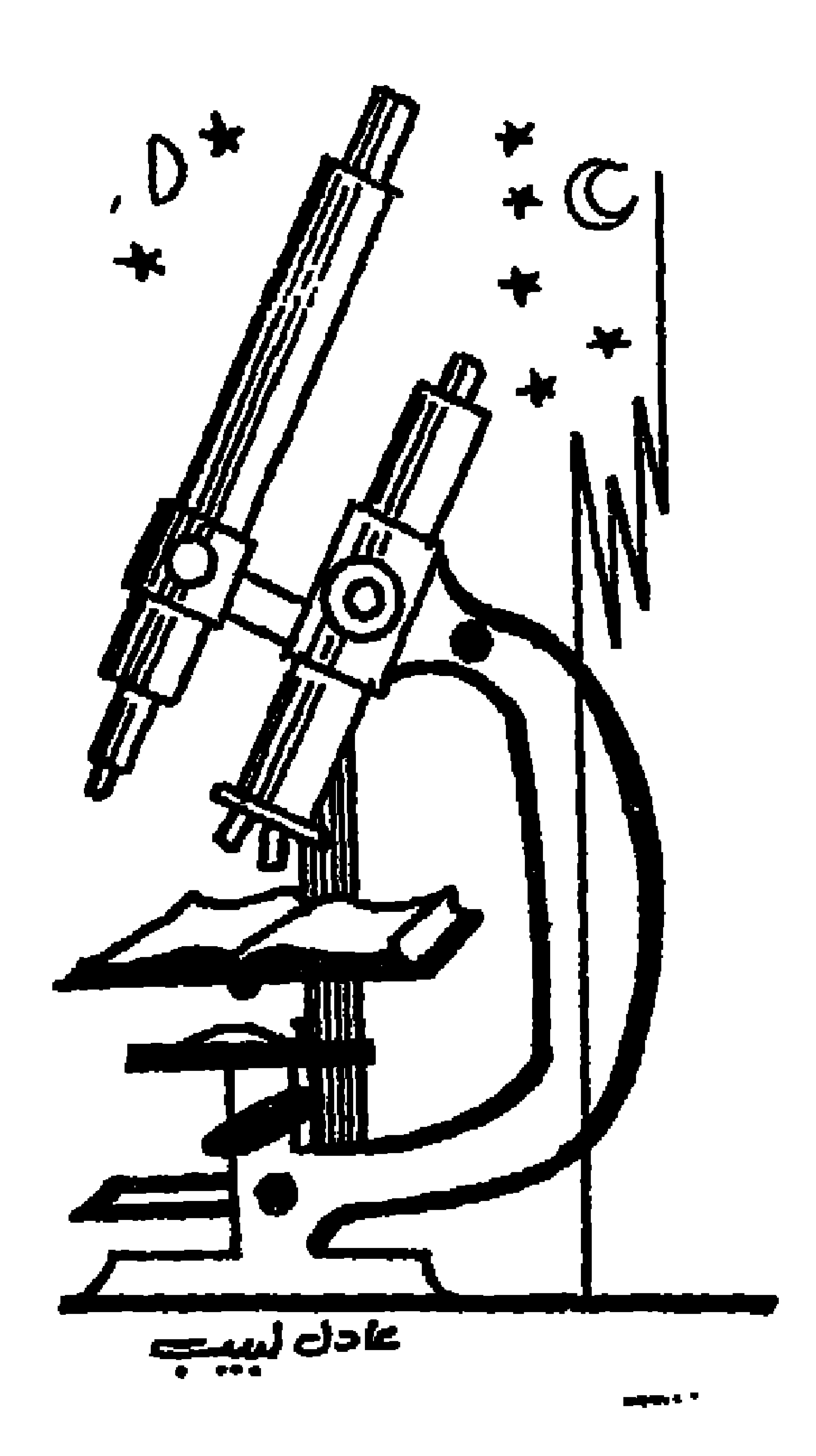
ففى العبارة الأولى نرى الشمول الواضح فى قول القديس : « أشواقى كلها » وهو آية الاعتقاد الدينى فى طبيعته : وان النفس لا تقبل التجزء والتفرق وهي تتجه

بأشواقها الى الله • أما فى العبارة الثانية فنرى الدليل على طبيعة الاستطلاع أو الاستقراء فى العقيدة الدينية • وأليس معنى ذلك أن العقيدة اذا كانت قوية سديدة وجد المؤمن مشكلاته محلولة مفسرة ، ووجد قلاقله ومخاوفه مهدأة مستقرة ، وخليق بالمؤمن بعد كل ذلك أن يهتدى الى كشوف من المعرفة والفضيلة •

ومعنى ذلك أن الانسان يطلب المعرفة من وراء العقيدة والايمان ، وأنه ينظر الى الايمان كأنه برهان على أنه قد وثق بالله فاستحسن أن يهديه فى طريق المعرفة ، ويتجلى عليه بما هو أكبر من قدرته لو اعتمد على عقله وفهمه • وموقف المؤمن من الله كموقف التلميذ الذى يطمئن الى علم أستاذه فلا يمتحنه ولا يتردد فى قبول دروسه ومعارفه، فيكون هذا الاطمئنان برهانا على أنه تلميذ صالح للتعلم مستحق للمكافأة وحسن الجزاء • حقا أن الدين هو « الانسجام مع الأعلى » كما قال و هـ • كلارك • وهو بلغتنا نحن أبناء الايمان « التوافق مع الله » •

الفصل الثالث

الصراع بين الدين والعلم



ظهرت نظريات علمية قيل انها تهدم العقيدة الدينية .
والغريب أن أصحاب هذه النظريات لم يقل أحد منهم انها
تناقض الدين . انما الذى حدث هو أن بعض الـــكاتبين
عبثوا فى هذه النظريات بأقلامهم ، وخلعوا عليها العناوين
الضخمة المبالغ فيها فى صورة جذابة ، وأحاطوها بشىء من
الجد والخطورة حتى تصبح جديرة بانقلاب فى عالم الثقافة
والصحافة . ويحـــدث ذلك كله من باب الدعاية الصحفية
البحتة لاجتـــذاب القارىء ولصالح أصحاب دور النشر
ورؤوس الأموال . ولا شـــك كانت هـــذه الدعايات من
أسباب الاثارة والصراع فى الدين .

وعندما قدم العالم برك كشف الراديوبات Radiobes
كتبت صحف ذلك الوقت أن الكشف يهدم الأديان ويزيلها
كحلم . وزاد البحث فى قصـــة الراديوبات فعـــرفوا أنها
جسيمات وجدت فى سائل عضوى « غروى » من أصل
نباتى أو حيوانى ــ تحت تأثير أشـــعة الراديوم ــ ظهرت
عليها أعراض تشبـــه أعراض الحياة فى الخليـــة من بعض

وجوهها • وظنوا أنهم اكتشفوا عن طريق الراديوبات سر الحياة ، وزعموا أنه قد أصبح فى مقدورهم منح الحياة الى الجمادات دون حاجة الى الله • ولم تمض سوى أيام حتى تحققوا من خطأ هذا الزعم ؛ وأن السائل يظهر هذه الظاهرة عندما يتعرض لأشعة الراديوم ؛ والفرق كبير بين خواص الحياة وهــذه الظاهرة • وقد كان فى ذلك اثارة أخرى •

ولما ظهر علم الجيولوجيا فى الوجود لأول مرة فى أوائل القرن التاسع عشر ، بدأ علماء الجيولوجيا بدراسة تاريخ الأرض ؛ كما قام علماء التشريح والأجناس وغيرهم وأثاروا نظريات النشوء والارتقاء والتطور ؛ وتعرض هؤلاء العلماء لرجال الكنيسة فى مواضع كثيرة •

ونظر العلماء الى رجال الكنيسة على أنهم دعاة التخلف والجمود والرجعية وعدم التمشى مع روح العصر العلمى الحديث • واستند علماء العصور القديمة فى زعمهم الى

بعض الأسانيد كان من أهمها حادثان تاريخيان حدثا فى القرون الوسطى وهما منع التشريح ووقفه حتى وصل الأمر فيه الى درجة التحريم ومحاكمة جاليليو وسجنه حتى الموت من أجل نظرية علمية تأيدت صحتها • وقد قامت ضجة عظيمة حول الحادثين • ولكننى أعتقد أننا رغم اعترافنا بخطأ الكنيسة لو راجعنا الظروف المعاصرة ودرسنا التاريخ بانصاف عن أحوال تلك العصور علميا واجتماعيا ربما تغير فكرنا عن خطأ الكنيسة كثيرا •

وأريد أن أسهب بعض الشىء فى قصة منع التشريح التى أثارت الرأى العام العلمى فى القرون الوسطى حتى أوضح الظروف التى كانت تجتازها الكنيسة • فقد دخل الطب الجراحى فى ذلك الوقت فى دوره العلمى ، الأمر الذى أزهقت فيه نفوس كثيرة ، وذاقت بسببه نفوس كثيرة أيضا ألوانا من العذاب • وكان الأمر يدعو للاهتمام فقد اقشعرت الانسانية من تلك القسوة والوحشية • وان كانت الانسانية بهذا النبل فكم تكون المسيحية برقتها وسماحتها ونبلها • ولذلك تأثرت الكنيسة من الموقف واعتبرته مشكلة انسانية

تتطلب تشديدا على المسئولين فيه وتحذيرا من الافراط أو التمادى فى ازهاق نفوس الناس أو تعـذيبها وجعلت من السلطان الذى فى يدها وسيلة لردعهم وزجرهم •

على أن السلطات الكنسية لم تكن متزمتة فى موقفها أو حتى فى حكمها ، لأنها سبقت وأباحت التشريح لخـير الانسانية ؛ ولكنها أصرت أن يكون خاليا من التعذيب أو التخفيف منـه بقدرالامكان • وجاء فى التاريخ أيضا أن الكنيسة حتمت أن يكون التشريح تحت اشراف أساتذة اخصائيين ، مع ضرورة الاكتفاء بأقل قدر ممكن من الألم للحصول على الفائدة العلمية المرجوة • ولعل الى ذلك الحادث الهام رميت الكنيسة بالرجعية والتأخر فى مسايرة ركب العلم •

والحق يقال فالكنيسة لم تمنع علم التشريح من ممارسة نشاطه ولكنها قصدت مراعاة الجانب الانسانى جنبا الى جنب مع الجانب العلمى • والدليل على صدق ما نقول هو

تلك الأعداد الكبيرة من المسيحيين التى خلـدتها مراجع التشريح وكتبه . وكان للحروب الصليبية الدخل الكبير فى الصراع الذى قام بين الكنيسة ورجال التشريح . فقد كان شهداء الحرب يوصون بنقل أجسادهم لكى تدفن فى بلادهم . ولما كثر الاستشهاد فى الحرب وتعـذر واستحال نقل أجسادهم كانت العظام وحدها هى التى تنقل بعد سلخها من اللحم بطرق بشعة وفظيعة تقشعر من هولها الأبدان . وكانت العظام بعد سلخها ترسل الى بلاد المحاربين . فأثارت هذه العملية سخط الكثيرين من الناس فوجدت الكنيسة نفسها مضطرة للتدخل فهددت كل من حاول ذلك بالقطع والحرمان .

أما موضوع محاكمة جاليليو فأقدم له ببعض الأفكار الرئيسية الهامة . فمن اللازم لنا أن نفهم التعاليم التى كانت تسود ذلك العصر . ومن أهمها احترام القديم والتمسك الشديد به ، والنظر الى كل جديد بالشك والريبة . كان

الأقدمون يرون أن الجديد الخال من روح الآباء خارج على الدين هو بدعة .

وأريد أن أقدم قصة جاليليو فى ضوء سابقيه من العلماء والفلكيين . فقد نظر العالم الفلكى شينر Shener فى منظاره الفلكى الى الشمس واكتشف البقع الشمسية ، وكان يلاحظها كثيرا حتى وصل الى حركة الشمس ، وحركة الأرض حول نفسها وحول الشمس . ثم عرض ما وصل اليه على الناس فتصدى له أحد رجال الكنيسة وقال : « انى درست كل كتب أرسطاليس ولم أعثر على شىء من الأمور التى ذكرتها فعليك أن تتريث فى ما تقـول حتى يقوله غيرك ، ويصادقك فيه ؛ ومن يدرى فقد يكون فى عينيك أو فى المنظار خطأ » .

ولا شك أن معارضة ذلك الرجل معارضة نزيهة تدل على روح ذلك العصر ومدى خضوعه الـكامل وتمسكه بفلسفة أرسطاليس ، الذى كان عندهم عميد العلماء وعمدة

الفلاسفة . وفى عصر جاليليو قام قيصر كريمونينى Cesar Cremonini سنة ١٥٥٢ ـ ١٦٣١ وهو من كبار علماء الطبيعة فى ذلك العصر . ولكنه رفض أن ينظر فى منظار جاليليو لأنه كان يخشى أن يرى فيه ما يناقض علم الطبيعةالذى علمه ارستطاليس . وهذا أيضا صورة أخرى للتمسك بالقديم . والعبرة أنالعلماء جميعا ومعهم رجال الدين والبابوات والكنيسة بكل هيئآتها ، تجل وتحترم تعاليم هذا الفيلسوف اليونانى الكبير رغم أنه لا ينتمى لا الى المسيحية ولا الى تعاليم الكتاب المقدس لا تصريحا ولا تلميحا .

ويحدثنا الأستاذ هنكس Hinks وهو حجة فى الفلك فى كتاب له ، ان الفلكيين اليونانيين القدماء كانوا يعرفون شيئا كثيرا عن حركة الأرض ، ولكن تعاليم أرستطاليس كانت طاغية حتى أطفأت معها روح البحث العلمى فى الفلك. وقد وقع كوبرنكوس وجاليليو فى هذه الظروف القاسية

التى كانت تعبد وتتمسك بالقديم لمجرد أنه مدون فى كتب الأقدمين •

وخلاصة القول ان الكنيسة أيضا تمسكت بالقديم حتى وان كان من تراث الفكر اليونانى وليس من الدين فى شىء• وبسبب هذا التمسك الأعمى بالقديم كان كثيرون من العلماء يعانون • فقد هرب كوبرنيكوس من مجلس الكلية التى كان يعمل بها ، وطردوا توبنجن Tubingen من أجل النظرية الجديدة التى ابتدعها عن الأرض وقد كانت تشبه نظرية جاليليو • وكان من الغريب أيضا أن البروتوستانية اضطهدت العالم كبلر Kepler ونكلت به كما اضطهدت الكاثوليكية جاليليو • ومن المؤسف حقا أن سرفيتس "Cervetus" مات ميتة شنيعة ، وذلك حسب أمر من جون كالفن أبو المشيخية البروتستانتية فى سنة ١٥٥٣م فى مدينة جنيفه التى كان كالفن عمدة لها فى ذلك الوقت • وقد حكم كالفن على سرفيتس بالموت بسبب كتاب له وصف

فيه لأول مرة الدورة الدموية الصغرى فى جسم الانسان وهى الدورة المعروفة بين القلب والرئتين فى الجسم .
وكانت النتيجة أن أحرق الكتاب وشوى لحم الرجل رويدا رويدا حتى فاضت روحه ضحية للجهل حتى بين أقطاب رجال الاصلاح فى عصر النهضة .

ومما سبق مع غيره من الأقاصيص والأحداث ، يدل دلالة قاطعة على ميول العصور الوسطى وتمسكها الشديد بالقديم ورغبتهم فى أن يقف العلم عند الحد الذى وقف عنده أسلافهم وأجدادهم ، واعتبار كل فكر جديد بدعة وهرطقة ضد الحق والدين معا .

وانتقل بعد هذا التقديم للموضوع الرئيسى الثانى وهو محاكمة جاليليو الفلكى الايطالى الذى كشف توقيت حركة رقاص الساعة وسقوط الأجسام ذات الأوزان المختلفة بالسرعة عينها والذى أثبت نظرية النظام الشمسى بواسطة التلسكوب والمعروف أنه عاش بين سنة ١٥٦٤ و ١٦٤٢

فوجد نفسه أمام نظريتين عن المجموعة الشمسية المكونة من الشمس وكواكبها التى تدور حولها • كانت النظرية الأولى لبطليموس ويقول فيها : « ان الأرض مركز المجموعة الشمسية وان الشمس وباقى المجموعة تدور حول الأرض» أما النظرية الثانية فكان صاحبها كوبرنيكوس وفيها : ان الشمس مركز المجموعة الشمسية ، وان الأرض وباقى المجموعة تدور حول الشمس •

وقف جاليليو أمام النظريتين وبدأ تجاربه وأبحاثه فاستخدم منظارا كونيا صنع فى هولندا واستطاع أن يثبت به النظرية الثانية ويرفض النظرية الأولى • وخرج جاليليو الى العالم ليعلن أن الأرض هى التى تدور حول الشمس وليس العكس ، كما سبقت من قبل عند اعلان كشف كوبر نيكوس وكبلر • فقامت الدنيا كلها ضده ، ولما ظهر أن جاليليو مؤيد لسابقيه لقى ما لقى كل منهما ثم شعر العلماء أن عودة جاليليو الى صفوفهم محالة ، فلفقوا له تهمة اتهموه فيها أنه يناقض قصة يشوع خادم موسى المذكورة

فى الـكتاب المقدس (يشوع ١٠ : ١٢ ــ ١٤) ومن هنا رموه بتهمة الالحاد ومعارضة الدين • وهاج رجال الدين بايعاز من العلماء لحماية الكتاب المقدس • ومع أنهم كانوا يحمون تعاليم ارسطاليس ، ولكن مركز الكنيسة كان حرجا حتم عليها اصدار حكم فى الأمر •

وكانت الدعوى مرفوعة من العلماء على مسألة علمية لها مساس بالكتاب المقدس ــ فى نظرهم ــ وصدر الحكم على جاليليو بتحديد اقامته فى بيته ، فلم يغادر بيته لآخر حياته • وهكذا هدأ بال العلماء المتحمسين والثائرين على جاليليو • ولا ينكر أحد أن الموقف شاذ ، ولكن لم يكن فى وسع الكنيسة أن تسبق عصرها فى العلم ! ومع ذلك لم تقفل الكنيسة باب البحث ،فلما جاء اسحق نيوتن بقوانين الجاذبية الشهيرة فى ١٦٩٦ م أصبحت نظرية جاليليو سهلة فأعلنت الكنيسة قبولها لقوانين الجاذبية والمجموعة الشمسية •

أما فيما يتعلق بقصة يشوع ، ووقوف الشمس (يش ١٠ : ١٢ ـــ ١٤) ـــ كأنها كانت تدور قبلا ـ فقد اتضح أن الأمر لا يمس التعاليم الدينية والكتاب المقدس فى شيء • ان الشمس لا تدور حول الأرض ولكن الأرض هى التى تدور حول الشمس وذلك عكس ما كان يفهمه كل الناس فى ذلك الوقت • وحتى الى الآن يتكلم الناس عن الشمس فيقولون طلعت الشمس أو نزلت الشمس ومالت ، هذه صيغة يفهمها الجميع ، وقد كانت كلمة الله تخاطب الناس بالصيغة التى تناسب عقولهم حتى يصل الأمر الى الناس باللغة التى يفهمونها وحتى تصل الفكرة الى قلوبهم وأذهانهم •

اننا وان كنا لا ننكر أن معاملة الكنيسة لجاليليو كانت خطأ فاحشا لا يغتفر فى نظر عصرنا الحالى ، لكنه لم يكن أحد ينتظر حكما أعدل من ذلك • وقبل أن نختم هذه القضية بين الكنيسة والعلم يجب أن نقرر الواقع ، فعندما بلغ الدين الى قمة سلطته ومستواه الرفيع فى ذلك الوقت

عامل الناس رجال الكنيسة لا على أنهم بشر مثلهم ولكن كأنهم آلهة يمثلون سلطان السماء على الأرض ، ولذلك قلدوهم السلطات الزمنية فوق سلطانهم الروحى . واحتكم الناس الى رجال الدين فى علاج مشكلاتهم ، الأمر الذى دفع الكهنة فى وقت من الأوقات الى التدخل السافر فى الأمور التى ليست من شأنهم ، كقضية جاليليو وكروية الأرض ودورانها ، وقضية سرفيتس والدورة الدموية الصغرى بين القلب والرئتين ، وغيرها من القضايا العلمية البحتة . ولاشك كان لمساندة رجال الدين لذلك الموقف الخاطىء من العلم ، الأثر السىء فى صراع العلم مع الدين .

ثم ظهر الصراع على أشده بين المسيحية والعلم فى القرن التاسع عشر على مسألة أثارها العالم الطبيعى الفرنسى بيفون ، خلقت له اشكالا مع علماء اللاهوت فى جامعة السوربون واتهموه بأنه يستخدم لغة تناقض تعاليم الكتاب المقدس فى أصل العالم وعمره . ثم ثار جدل مشابه حول التناقض بين قصة الخليقة كما رواها أحد علماء الجيولوجيا،

وبين قصة الخليقة كما فى سفر التكوين • وبرز أيضا من أسباب الخلاف بين المسيحية والعلم تاريخ الخليقة الذى سلمت به الكنائس المسيحية بأنه سنة ٤٠٠٤ ق•م •

ولما أصـــدر العالم الجيولوجى وليم باكلاند فى جامعة أكسفورد بحثه فى عام ١٨٣٠ عن التغيرات التدريجية فى الأرض وظهور أنواع جديدة من الحياة فيها ــ هاجمـــه المسيحيون هجوما عنيفا • فقد كان المحافظون يعتقدون أن الخلق قد تم فى تاريخ دقيق مضبوط ، وفى سلسلة من الأعمال الالهية المعينة تعيينا واضحا ، وأن كل نوع من أنواع المخلوقات قد خلق فى وقته المعين وأنه لم يضف الى أنواع الخلائق شىء ما بعد ذلك •

واشتد الجدل حول سفر التكوين والخليقة وامتد الى ميادين أخرى • وانبرى العلماء لتطبيق دراســة الوثائق القديمة دراسة ناقدة على الكتاب المقدس • وبدا لكثيرين كأنما أركان الايمان المسيحى قد انهارت • وأحس الناس

فى كل أوربا أنه يستحيل أن يكون المرء حرا سياسيا ومسيحيا فى وقت واحد • وأصبح رجال الكنيسة أعداء للطبيعيين والعلماء والماديين •

واشتد الصراع فى عام ١٨٤٧ وهى السنة التى اندلعت فيها الثورة فى كل بلد تقريبا • وظهرت صيحة فصل الكنيسة عن الدولة ، ونظر كثير من المسيحيين نظرة الشك والخوف الى كل تجديد أو ابتكار ، حتى بالغوا فى الاعتصام بسلطة الكنيسة والأسفار المقدسة • وكان من نتيجة هذه المغالاة اقتران المسيحية بظلام الفكر ورجعية السياسة •

وتأزم الموقف أكثر فى عام ١٨٥٩ يوم فعل تشارلس داروين بعلم الأحياء ما فعله اسحق نيوتن بعلم نظام الكون فى عام ١٦٨٧ • فقد ظهر داروين بمذهب جديد فحرك فكر الانسان بنظرية جديدة هى : « تطور الحياة وبقاء الأصلح » واقترن مذهب التطور فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر باسمين هما « الفرد رسل ولاس ، وتشارلس داروين »

وذاعت شهرة داروين بالمـذهب حتى كاد أن ينسب اليه ويعرف به • وقد عدل أخيرا عن تسمية المذهب بالنشوء والارتقاء وبقيت الداروينية غالبة عليه • وكانت البراهين التى كونها خلفاء داروين مؤيدة لنظرية التطور حتى وصلت الى أبعد من تطبيقاته •

وأثار علم الوراثة أسئلة كثيرة يصعب الاجابة عليها ، وجعلت الاكتشافات الحديثة من عمل داروين مجرد خطوة عظيمة فى سير الفكرة الفلسفيـة الى الأمام • ودون أن ينتقص أحد من عمل داروين أو دقة استنتاجاته أو عظمة دراساته ، لا يقدر أحد أن يقول بما قال به هيكل Haeckel انه لو أعطى ماء ومواد كيماوية ووقتا كافيا لاستطاع أن يخلق انسانا •

وصل الصراع الى قمته عندما وصل بعض أتباع داروين باستدلالاتهم الى حد الالحاد المادى • وحدث رد فعل مباشر اذ تطرف الذين يؤمنون بالله الخالق ، وبوجـود غاية فى

جميع المخلوقات : فأنكروا نظرية التطور فى كفاحهم للالحاد .

وهناك حادثان آخران ضاعفا متاعب المسيحية وحيرتها . أولهما اكتشاف العالم جريجورى مندل قوانين الوراثة التى أثبت بها صرامة الخواص الوراثية ، وفرض بموجبها على الجنس البشرى قيوداً من الاستسلام للقدر والأمر الواقع. فكل فرد انما يتكون حكما من خلايا التذكير والتأنيث ، أما الحرية والمسئولية فلا وجود لهما وهما وهم وخداع .

أما الحادث الثانى فهو التطور الجديد فى علم النفس لأن البحوث التى أجريت على الهستريا والتنويم المغناطيسى والأمراض العصبية وآثار المخدرات ـ هذه الدراسات كلها أسفرت عن نتائج يمكن تعليلها بمصطلحات مستمدة من الكيمياء والطبيعة . ويكفى أن سيجموند فرويد رفض أن يسلم بالتعليل المادى أو الطبيعى المجرد لكل حالات الشذوذ النفسية . ولكنه أصر اصرارا شديدا على فكرة

القصدية القدرية الجامدة ولو أنه حسب الدين وهما وخداعا .

وأثار العلم ثورة شاملة اجتاحت الحياة الاجتماعية والدولية . وكانت المخترعات قد قصرت المسافات وأزالت الحواجز وقصرت الأزمان . وحلت الكهرباء محل الفحم وظهر عصر الطيران والأبحاث الذرية والفضاء . كذلك كشفت الدراسات عن صنوف جديدة من الشر لم يكن أحد مسئولا عنها ولم يقدر أحد على التهرب منها . ولم يكن للكنائس رسالة اجتماعية معدة لمواجهة ذلك بل اقتصرت رسالتها على قلة من الأفراد . وشعر الناس أن الأحوال الاقتصادية وحدها هى التى تتحكم فى تقرير مصير الانسان . واتجه الفكر الى تعليل الكون تعليلا طبيعيا أو تعليلا لا أدريا . ولم يكن لله مكان فى هذا الصراع العقلى . ولم يكن بين المسيحية والعلم شركة فى شيء وكان الفصل بينهما هو الحل الوحيد .

وتتلخص أسباب الصراع بين المسيحية والعلم فى خمسة أمور :

أولا ـ كشف كوبرنيكوس لمركز الأرض من المجموعة الشمسية ومن الأجرام السماوية على العموم . وقد كان ذلك الكشف صدمة عنيفة للكنيسة التى اعتقدت أن الأرض هى مركز الكون كله ، وأن السماوات العليا وما فيها من الكواكب والشموس تابعة للأرض ـ التى هى مركز الكون كله ومقر الانسان ـ فلما عرفوا أن الأرض لا تعدو أن تكون كوكبا صغيرا تابعا للشمس بين آلوف من الشموس التى فى الفضاء ، فزعوا من هوان الأرض كلها وهوان الانسان كله ، وخامرهم الشك فى حكمة القصد والاختيار ورجحت عندهم المصادفة والاتفاق .

ثانيا ـ ظهور القوانين الطبيعية التى سمت بالقوانين المادية : فلما جاء العلماء الطبيعيون كشفوا ما سموه بقوانين المادة وزعموا أنهم يفسرون بها كل شىء حتى الحياة ،

فكل ما فى الطبيعة آلات خاضعة لتلك القوانين ، تجرى فى حركات على السنن المطردة فى حركات الآلات .

ثالثا ـ مذهب النشوء والارتقاء : وقد جاء هذا المذهب فألحق الانسان بسائر الحيوان فى نشأته وتطوره ، وأعلن بعض النشوءيين أن تطوره من المادة الحية الأولى يبطل القول بالخلق وتمييز الانسان عن عامة المخلوقات .

رابعا ـ علم المقارنة بين الأديان والعبادات : وقد جمع ذلك العلم المشابهات بين العبادات البدائية والعبادات التى فى الأديان السماوية ، فاتخذ أصحاب المذاهب المادية من ذلك دليلا على تسلسل العبادات من أطوارها الأولى بين البدائيين بغير حاجة الى الوحى الالهى أو النبوة أو الاعلان.

خامسا ـ مشكلة الشر : وهى مشكلة عظمى من أقدم المشكلات التى ساورت عقول الناس وعقائد المتدينين ، ولكن هذه المشكلة قويت جدا حتى أصبح من الصعب التوفيق بينها وبين وجود اله طيب وصالح . ونجح العلم

فى ابراز هذه المشكلة أمام عقول الناس حتى اتخذها البعض عن اخلاص أو عن غير اخلاص ، ذريعة يتذرعون بها فى محاولة اثبات عدم وجود الله .

أما موقف الكنيسة من القضايا العلمية المختلفة فقد كان واضحا لا يختلف فيه اثنان . فقد اتسم موقف الكنيسة الرسمى بالعداء السافر الواضح لكل جديد فى العلم . وبدل أن تنزل الكنيسة الى ميدان المشاكل الفعلية فى حياة البشر لتجد لها تعليلا أو تفسيرا ، جلست على كرسى القضاء تدين العلم والعلماء ، وتحكم عليهم بالهرطقة والالحاد ؛ حتى وصل بها الأمر الى محاكم التفتيش وأحكام الموت والاعدام . وتاريخ المسيحية مع العلم تاريخ كله دماء ، ففى عام ١٥٤٢ نشر كوبرنيكوس الفلكى البولندى قبل وفاته بسنة نظريته المشهورة فى الفلك التى غيرت فكر الانسان عن الكون تغييرا أساسيا . وتردد الرجل طويلا قبل نشر أفكاره . كأنه قدر غضبة الناس جميعا عليه وتعرضه للسخط والنقمة . وثبتت آراء الرجل مع الزمن

فآمن بها الفلكيون وأخذوا فى تصحيح ما يحتاج منها الى التصحيح . وبدأ العلماء والمفكرون ومعهم رجال الكنيسة يتساءلون : أى شىء فى هذا الكشف خالف قواعد الدين وخرج على الايمان المسيحى ؟ ولأى شىء صودر الكتاب وجعل الكنيسة الكاثوليكية واللوثرية تجمع على تحريمه ومنع تعليمه ؟ . والحقيقة أن الكنيسة كانت تعتنق الفكرة القديمة عن الأرض التى جعل فيها أرسطو وبطليموس الأرض مركز الكون .

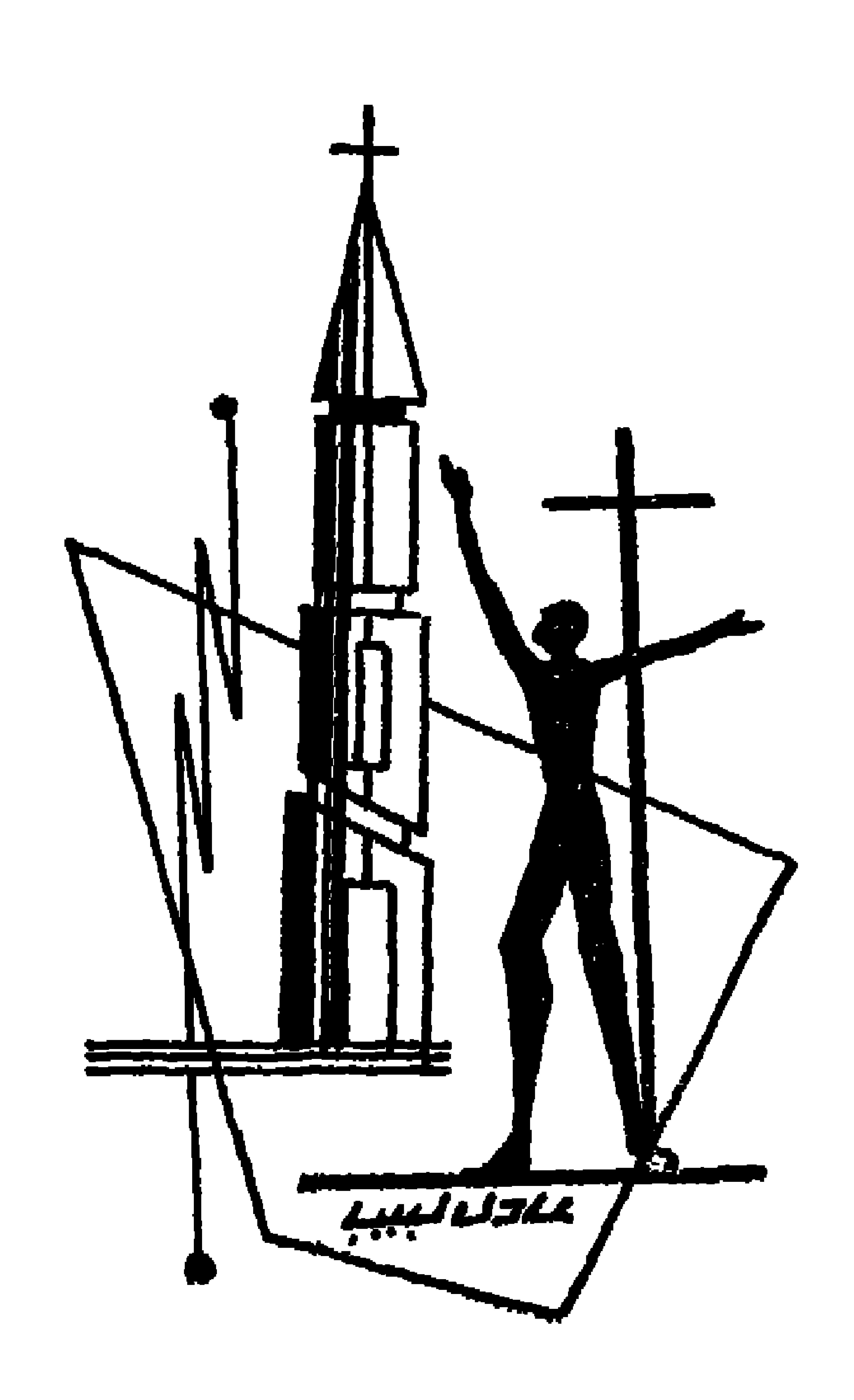
وكانت الكنيسة تشترط للايمان بالقصد والتدبير فى خلق الحياة على الأرض ، أن تكون الأرض مميزة بين العوالم العلوية والسفلية . وكانوا يحسبون أنها لا تكون مميزة الا اذا قامت فى مركز الكون كله وقامت الكواكب والشموس دائرة أو ثابتة من حولها ، فلما تقدم علم الفلك، وعلم الكمياء والطبيعة أصبح القائلون بالخلق والتدبير اليوم يميزونها من العوالم جميعا لأنها فى موضعها هذا من المنظومة الشمسية ، ويحسبونها على هذا مميزة

بالخصائص التى تنفرد بها ولا يشاركها فيها كوكب آخر فى آفاق السموات •

وجملة القول كان رد الفعل المسيحى فى النزاع بين الدين والعلم ضئيل الأثر تافه القدر • لأن رجال الكنيسة لم يواجهوا فعلا المشاكل الناشئة عن النقص والشر فى العالم الطبيعى • لأن ايمانهم الأعمى فى الله القادر على كل شىء دفعهم الى انكار وجود هذه المشاكل ، وقالوا ان عالم الله خال من كل عيب ، وأن تصميمه لا بد أن يكون بعيدا عن كل نقص • ولذلك شحنوا الكتب الدينية والمواعظ الروحية بجمال الطبيعة وروعتها ومظاهر الحكمة فيها • وقد أغمضت الكنيسة عينيها عن الشرور المنتشرة فى العالم كالاقطاع والاغتصاب وتجارة الرقيق والخطف والقسوة والاضطرابات والخوف والخيبة والفشل وما الى ذلك من المظاهر القاسية البادية فى الطبيعة والحياة الانسانية • ولم يخطر ببال أحد قول الرسول : « أخضعت الخليقة للبطل • ليس طوعا بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء • فاننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا الى الآن » (رومية ٨ : ٢٠ و ٢٢) •

الفصل الرابع :

التقارب بين الدين والعلم



أجمع المسيحيون على أن العلم آغرق فى دعواه القائلة انه يقــدر أن يعلل الحقيقة كلها تعليلا ماديا • واتخــذ المسيحيون أسبابا خاطئة فى المعارضة ولكنهم كانوا على حق فعلا ، وذلك لأن فلسفة العلم أنكرت كل قصد فى الكون ونظرت الى الخلائق البشرية على أنها آلات ميكانيكية ، كما أنكروا كل قيمة للتعبد الروحى • وكانت هذه الفلسفة تسمى نفسها « اللاأدرية » ولكنها فى الواقع الحادية •

ولكن فى عام ١٩٠٥ خرج العلامة اينشتين الى العالم بنظرية النسبية التى أحدثت رجة عنيفة فى الأوساط العلمية• ولم يكن أحد يدرى أن هذه النظرية يمكن أن تحدث هذا الانقلاب الخطير • فان كان نيوتن قد جعل البشر عبيدا للآلة ، فان اينشتين أعــاد الى الجنس البشرى حريتــه المسلوبة •

وهذه النظرية أبطلت نظرية الاغريق القديمة بأن الانسان هو مقياس كل الأشياء ، وما ترتب على هذه النظرية من أن

الانسان يستطيع أن يحلل الكون تحليلا موضوعيا ويشرحه . وأحس الناس أنهم فى حالة من المعرفة النسبية وأن المنطق فى نهاية الأمر منقوص لا يكفيهم . والانسان على مقتضى النظرية لم يعد فردا منعزلا يواجه الله والكون كأنه منفصل عنهما ، بل هو مرتبط مع المخلوقات الأخرى .

وأعقب ذلك كشوف أخرى مثل نظرية النشاط الذرى، الأمر الذى جعل العلم يسلم بأن العقل البشرى لن يقدر أن يضع تفسيرا كاملا شاملا للكون . ونظرية دالتون التى قبلها العالم عام ١٨٧٠ والتى يقول منطوقها ان الذرة لا تتجزأ : جاء العلم الحديث وأثبت امكانية تفتت الذرة وتحويلها الى طاقة . فالمادة كانت طاقة قبل أن تصبح مادة. وقد علق على ذلك واحد من العلماء المسيحيين أن ذلك هو ذات الكلمة « كن فيكون » .

وهاجمت الكنيسة مذاهب داروين وجعلته مرادفا للالحاد والمادية . مع هذا لم يكن ولاس ولا داروين ملحدين ،

بل كان ولاس شديد الايمان بالله ، خامرته الشكوك فى المسيحية التقليدية ولم تخامره فى الايمان بالله وبحكمته ، ومن كلامه ما يستدل به على تصديق المعجزات وخلود نفس الانسان .

أما داروين فلم يزعم قط أن ثبوت التطور ينفى وجود الله ، ولم يقل قط ان التطور يفسر خلق الحياة ، وغاية ما ذهب اليه أن التطور يفسر تعدد الأنواع الحيوانية والنباتية . وفى ختام كتابه عن أصل الأنواع يقول ان الأنواع ترجع فى أصولها الى بضعة أنواع تفرعت عن جرثومة الحياة التى أنشأها الخالق .

وقد قال ولاس فى كتابه « عالم الحياة » The world of Life متحدثا عن عقيدة داروين « انه على ما يظهر قد صار الى نتيجة واحدة وهى أن الكون لا يمكن أن يكون قد وجد بغير علة عاقلة ، ولكن ادراك هذه العلة على وجه كامل يعلو ادراك العقل البشرى » .

ثم عقب ولاس قائلا : « واننى أولى هذه النظرية كل عطفى وشعورى ، ولكننى مع هذا أرى أننا مستطيعون أن نلمح قبسا من القدرة التى تعمل فى الطبيعة ، يساعدنا على تذليل الصعوبة البالغة التى تحول دون العلم بحقيقة الخالق الأبدى الأزلى الذى لا أول له ولا آخر » .

سئل داروين عن عقيـدته الدينية عام ١٨٧٩ فقـال فى خطاب له أرسله الى مستر فوردايس Fordyce مؤلف كتاب ملامح من الشكوكية : « ان آرائى الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعنى أحدا غيرى ولكنك سألتنى فأسمح لنفسى أن أقول اننى متردد ، ولكننى فى أقصى خطرات هذا التردد لم أكن ملحدا بالمعنى الذى يفهم منه الالحاد على أنه انكار لوجود الله » .

وفى الحديث عن اتجاه التقارب بين العلم والدين من الضرورى أن نوضح معنى النظرية فى العلوم التجريبية ، فالنظرية ما هي الا فرض وضـع لتفسير بعض الظـواهر

الطبيعية . فاذا فشل هذا الفرض فى تفسير ظاهرة جديدة ، أو اذا لم تحققه التجارب العلمية ، فان هذه النظرية تترك جانبا ، ويقوم عوضا عنها فرض ثان وثالث وهكذا الى أن نصل الى فرض ينجح فى تفسير كل الظواهر الجديدة المشابهة . وتحققه بدقة كل التجارب العملية التى يمكن اجراءها فى المعمل ــ فان هذا الفرض يثبت ثبوتا قاطعا لاشك فيه ، ومن ثم تصبح النظرية قانونا علميا ثابتا .

وهكذا نرى أن النظرية قابلة للتغيير ، أما القانون العلمى فانه ثابت لا يتغير . وقضية النشوء والارتقاء ما تزال نظرية الى اليوم أى قابلة الى التغير . وعلى كل حال يقول كرسى موريسون رئيس أكاديمية العلوم فى نيويورك « ان داروين كان محقا فى حدود النور الذى وصل اليه من العلم ولكنه لم يكن يعلم شيئا عن الجينات التى تتحكم فى قوانين الوراثة فقد كانت هذه مجهولة له تماما » .

وخلاصة القول ان صاحبى مذهب التطور لم يستندا

اليه فى انكار العقيدة المسيحية ، ولم يزعما أنه يفسر سر الحياة أو سر الكون ، وأحـــدهما وهو ولاس كان مؤمنا بالله وبحكمته فى مخلوقاته ، والآخر وهو داروين ـــ كان يرفض أن يوصف بالالحاد ويحسب نفسه مؤمنا ، منكرا لفكرة المصادفة • وقد أكد الى آخر أيام حياته أن الاستدلال بمذهب التطور على انكار الله خطأ كبير وادعاء لا سند له من العلم ولا من التفكير الأمين •

وفى سنة ١٩٣٢ عمل اللاهوتى دروبردج Drawbridge استفتاء أعاد فيه الأسئلة التى وجهت الى داروين فى حياته ووجهها الى علماء الجمعية الملكية وهى تضم أكبر العلماء المشهود لهم بالمكانة الملحوظة فى العالم ، فسألهم : هل ترون أن تصديق مذهب التطور يوافق التصديق بوجود الله ؟ وأجاب بالايجاب ١٤٢ من ٢٠٠ أرسلوا ردودهم وأجاب بالتردد ٥٢ وأجاب بالنفى ٦ •

وليس معنى ذلك أن المتدينين يقررون صحة المذهب على

علاته ، ولكنهم يقررون أن تصـديقه لا يناقض الايمان بوجود الله ، فلا يلزم عندهم أن يكفر بالدين كل من قال بتسلسل الأنواع الحية من أصل واحد أو بضعة أصول ، ومنهم من يعتبر العوامل الطبيعية التى فعلت فعلها فى هذا التسلسل آية من آيات التدبير الالهى العظيم .

وجاء فى الموسوعة الكاثوليكية فى باب الخليقة أن حقائق العلم وحقائق الوحى فى هذا الموضوع لا يتناقضان. وقال اللاهوتيون أصحاب كتاب العلم وما فوق الطبيعة Science and the Supernatural . ان العلل الثانوية التى تبدو فى أعمال الطبيعـة لا تبطل العلة الأولى التى تنتهى اليها جميع العلل وتقف عندها جميع المقاصد والغايات.

وقال اللاهوتى نابرباور Knaberbauer وهو يسوعى ، فيما روته عنه دائرة المعارف الكاثوليكية : ان أصـول الاعتقاد التى اشتمل عليها سفر التكوين تبقى ثابتة دون

أن تمس ولو فسرنا الأحــوال التى نشأت فيها الأنواع المختلفة وفقا لقواعد التطور » •

ونخلص مما تقدم الى بيان الفرق بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين فى موقف العــلم من الدين حول مذهب التطور والآراء الداروينية على اختلافها • فالنشوئيون فى القرن العشرين لا يستندون الى التطور فى انكار الدين واثبات التعطيل والالحاد ، ومن كان معطلا منكرا فليس له سند مسلم به فى مذهب داروين ، ولا من كلام داروين نفسه عن عقائده وترجماته • والمسيحية اليوم لا تقيم أصول الدين حجة على القائلين بالتطور ، ولا تقول بالتناقض بين الايمان والعلم فى هــذا الباب ؛ فقد أوضح العــلم الآن حقائق كثيرة تصل الى ازالة الخلاف الظاهرى بين العــلم والدين وتنور الفريقين من مؤمنين أو داروينيين •

وهكذا خفت اليوم تلك الدفعة الأولى من جانب النشوئيين وجانب الدينيين ؛ فتقاربت شقة العلم والدين فى أمر الخلق

والتطور ، وجاء القرن العشرون بنظرة جديدة فى هـذه المسألة التى أوشكت أن تغطى على مسألة دوران الأرض ومسألة القوانين الطبيعية فى دعواها الأولى حيال العقائد الدينية ، فان لم يكن مذهب التطور آية من آيات العقيدة فليس هو على التحقيق برهانا على بطلانها ، وثبت اليوم أن الذين حاربوا الدين باسـم التطور ، والذين حاربوا التطور باسم الدين كلهم فى الخطأ والادعاء سواء .

وربما كان لسخف الكبرياء نصيب كنصيب الجهل فى مقاومة القول بالتطور ، فان الأكثرين رفضوا أن يكون آباؤهم وأجدادهم قردة ، وظنوا أن تصديق التطور يوجب هذا النسب على كل فرد من أفراد السلالة الادمية . ولا مكان لهذا السخف ، فليس من اللازم فى مذهب التطور أن ينتمى كل انسان حديث الى قرد عريق ، وما من نشوئى الا ويلتمس حلقة بين النوعين ، ويجعل للانسان نسبا مستقلا فى أصله عن غيره من الأنواع العليا بين الحيوان .

قال أوسبورن "Osborn" بين جميع الأشـياء التى لا يمكن ادراكها فى الكون ، يقف الانسان فى الطليعة . وبين الأشياء التى لا يمكن ادراكها فى الانسان ، تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من عقل وذكاء وذاكرة وأمـل وقوة كشف وبحث وقدرة على تذليل العقبات » . ونحن نعتقد أن من يقرأ الحقائق العلمية الحديثة والنور الذى وصل اليه العلم اليوم ، سوف ينتهى الى أن الهوة السحيقة التى بين الذهن البشرى المدهش وبين جميع الكائنات الحية الأخرى هى أقل تمنعا على الادراك مما فرض أوسبورن حين كتب ما كتبه .

ويقول الدكتور سمارت روجس أستاذ علم الفلك فى جامعة جلاسجو فى كتابه أصل الأرض :

« ان العلم وحده لا يقدم للانسان ـ فى أعلا اتجاهاته بعيدا عن الله ـ الا ظلمات اثر ظلمات : فمثلا لو أن معاصرى أفلاطون سلموا بآرائه فى الكواكب وأن لـكل كوكب نفسا وعقلا : وكل كوكب هو اله بين الآلهة : فماذا كانت

النتيجة بالنسبة له ولنا ، أمام هذا الضرب من الفلسفة » .

وخلاصة القول فى التقارب بين المسيحية والعلم ، ان الذين عرفوا كبرياء العلماء فى القرن التاسع عشر يدهشون اليوم أمام ذلك التواضع العميق الذى يبلغ أحيانا كثيرة مبلغ الشك فى امكانية الوصول الى حقيقة نهائية أكيدة . وأصبح من خواص العلم اليوم الشعور بالرهبة أمام أسرار الكون والاعتراف بقصور العقل البشرى فى تأويل الكون وفهم أسراره ، والامتناع عن وضع قواعد نهائية كأنها القول الفصل الذى ليس بعده شيء .

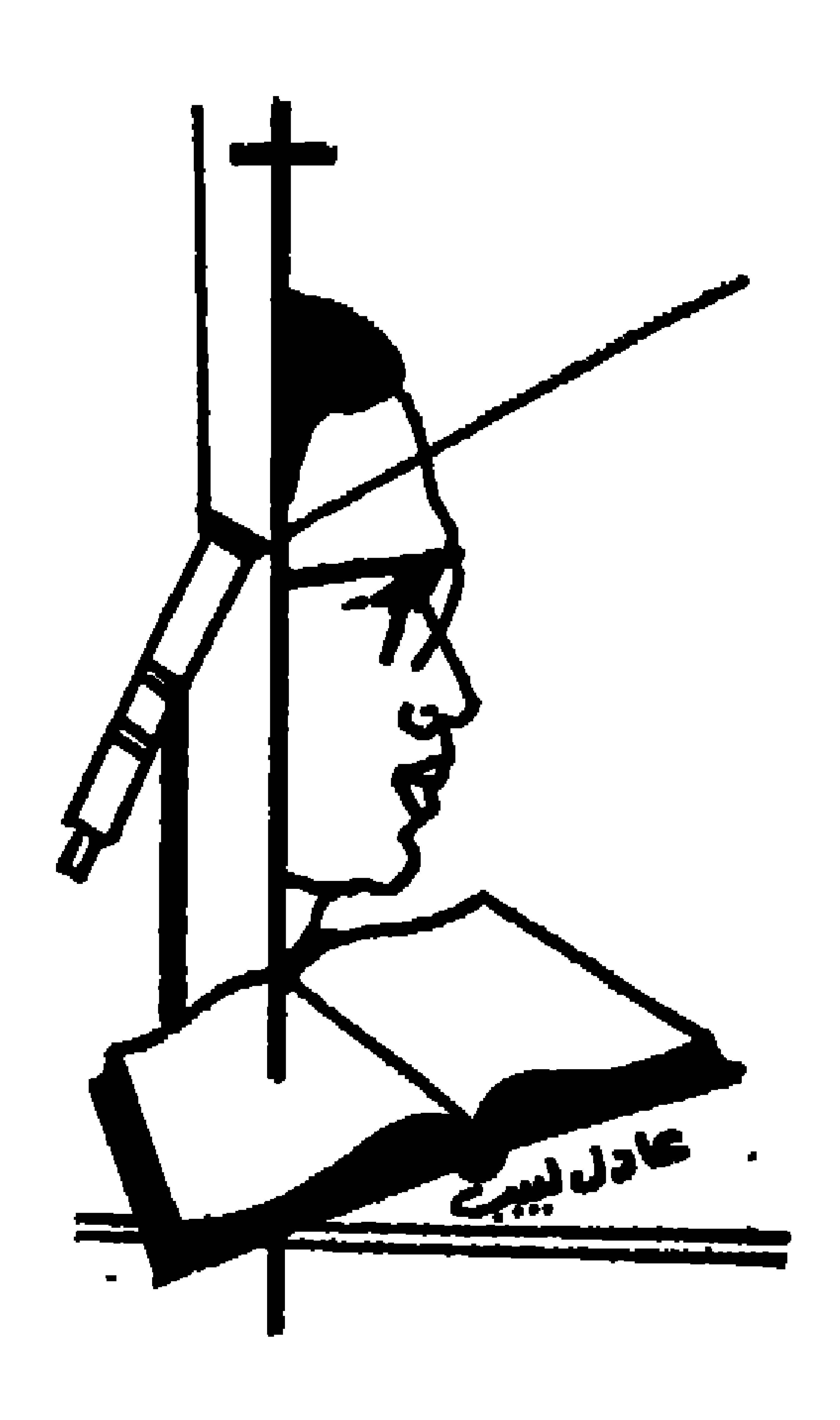
ولقد رأينا كيف أدى العالم نيوتن خدمة جليلة للمسيحية عندما استبدل فكرة عالم قديم مضطرب بعالم منظم خاضع لنواميس معينة . ورأينا كيف أطلعنا داروين على نظرية جديدة مؤداها أن العالم مسرح لتطور مستمر ، فيه تتطور الحياة نحو الارتقاء ، ويرتقى النظام الاجتماعى ليبلغ وعيا أفضل حساسية وأخصب حالا .. وهنا نعيب على الكنيسة

فى القرون الماضية لأنها عجزت عن أن تكون الملهمة الرائدة، والزميلة المرشدة للعلوم • وبدل ذلك وقفت موقف المعارضة العنيدة أمام كل فكر علمى جديد ، وجلست للدينونة تحكم بالهرطقة والالحاد على كل مفكر أو باحث ، حتى اقترنت الكنيسة بضيق الأفق والرجعية والجهل •

وليس معنى الكلام أن كان لزاما على الكنيسة أن تقبل النظريات العلمية اعتباطا بل كنا ننتظر أن تحتضن الكنيسة العلم فيعمل العلماء من داخل أسوارها وتحت سمعها وباشرافها وبذلك يكون لها الفضل فى كل كسب لرقى البشرية أو اسعادها • وكنا ننتظر أيضا أن تحاول الكنيسة تقديم نفسها فى شكل جديد يتفق مع الفكر الحديث بمفاهيم جديدة تعبر عن الحق الالهى الثابت والايمان القديم المسلم مرة للقديسين • وان كانت الكنيسة تعانى اليوم بعض الصعوبة من العلم ، فان الأمر لا يعدو أن يكون رد فعل لموقف الكنيسة القديم من النهضة العلمية •

الفصل الخامس

التفسير المسيحي للعلم



أجرى بحث على مئتي فرد من أعضاء الجمعية الملكية فى لندن ، وكان فى استمارة البحث سؤال عن العلم والدين نصه : « هل تظن أن التقدم الملحوظ فى العلم يحبذ الايمان المسيحى ؟ » • وأجاب على هذا السؤال ٢٧ بالنفى ، وامتنع عن الاجابة أو اعطى اجابة بلا مدلول ٩٩ • أما الذين أجابوا بالايجاب فعددهم ٧٤ •

ومن اجابة هذه المجموعة من العلماء على أسئلة أخرى فى استمارة البحث نلاحظ أن ١٢١ منهم يؤمنون بوجود كائن روحى أعلى له سلطان ، بينما ١٣ لا يؤمنون بذلك الكائن ، ثم ١٠٣ يعتقدون أن العلم لا ينفى فكرة وجود اله شخصى أعلن ذاته فى الانسان يسوع المسيح •• ولكن ٢٦ يظنون أن العلم ينفى وجود اله أعلن نفسه فى المسيح •

ونحن لا نجد بين اجابات العلماء وحدة فى التعبير عن الايمان المسيحى بلغة واحدة مشتركة • فقد اختلف التعبير عن الايمان الدينى من مجموعة الى أخرى • ومن هذا نرى

أن ذلك البحث يخلص بنتيجة واحدة وهى أن كثيرين من رجال العلـم يعتنقون الايمان المسيحى وان لم يـكن فى صياغة لاهوتية موحدة محددة ؛ فالعـلم لا يتطلب من العلماء أن يحدد الواحد منهم وجهة نظره الدينية .

والسؤال الذى يفرض نفسـه علينا فى هذا المجـال من الموضوع هو : هل من الضرورى أن نبحث عن تفسير مسيحى للعلم ؟ اليس من الأفضل أن يقف كل من المسيحية والعلم عند حد فضائل وامتيازات كل واحد منها ؟ !

والحقيقة أنه يوجد كثيرون ممن يعتقدون أن العلم والايمان لا يمكن أن يجتمعا أو يتفقا ، فكل منهما ينبغى أن يكون منفصلا عن الآخر تماما . ولكن هذا الازدواج فى التفكير الفردى لا يقود الى وحدة أو انسجام فى التفكير . فالعالم الذى صار تلميذا للمسيح يجد أن افتراضاته وأعماله العلمية يحددها ايمانه الشـخصى . انه كمؤمن مسـيحى ملتزم بضرورة اعتبار الحياة بمعناها ومغزاها وهدفها وظروفها ،

بوجهة نظر تختلف عن زميله العالم غير المسيحى • وهذه النظرة التى يعبر بها العالم المسيحى عن فلسفة حياة جديدة هى ما نسميه بالنظرة المسيحية للعلم ، وهذه النظرة لها تفسيرها الخاص للعلم •

افتراضات التفسير المسيحى : يقدم الفكر المسيحى ثلاث افتراضات رئيسية فى تفسير العلم هى :

١ ــ الافتراض الأول : ينص الافتراض الأول أنه فى البدء خلق الله السموات والأرض • وقد اعتقد معظم المفكرين أنه حتى تبدو هذه الحقيقة منطقية يحتاج الأمر الى كشف عن العلة الأولى للكون ، وهذه العلة الأولى يجب أن تكون ؛ ذات وجود أزلى أبدى ، فلو أنه لم يوجد شىء فى الماضى السحيق البعيد ، فلا يخرج من اللاشىء سوى العدم • أما نحن المؤمنين الذين نؤمن بالله ونؤمن بالعلم فنشعر أن فكرة الايمان بالخالق معقولة أكثر من الايمان بالعوالم الموجودة منذ الأزل بلا علة أولى • وقد شغف

علماء الجيولوجيا بأبحاث البدايات ، وهم يبحثون بهمة فى محاولة لتقرير عمر الأرض • وكان من الوسائل العلمية التى وصل بها العلماء الى الايمان بالفكرة التى تؤيد أن للأرض بداية ، الدراسات التى أجراها العلماء على النشاط الاشعاعى فى عنصر اليورانيوم المشع • فلو أن العوالم الآخرى كانت فى الكون منذ الأزل ، ما كان لها اليوم هذا النشاط الاشعاعى الذى يصدر عنها • ومن هنا يجب أن تقرر حتمية وجود نقطة بداية معينة فى تاريخ هذا العالم •

ويمكن معالجة قضـــية بدء الخليقة من زاوية آخرى • فالعالم اليوم ينقص ويضمحل بصورة واضحة ملحوظة • فقد نادى كلوزيز Clausius أستاذ علوم الديناميكا الحرارية Thermodynamics بقانون بقاء الطاقة ، وقال انه بالرغم من أن صورة الطاقة يمكن أن تتغير الا أن الطاقة لايمكن أن تفنى أو تستحدث • ونخرج من ذلك أيضا بمبدأ انحلال الطاقة • فالكتاب الموضوع على المكتب له كمية معينة من الطاقة يحددها وضعه على المكتب • وعندما يسقط هذا

الكتاب فانه يفقد هذه الصورة من الطاقة ؛ لأن الطاقة التى تنجت عن ارتطام الكتاب بالأرض قد تحولت الى حرارة . والحرارة هى احدى الصور التى تتحول اليها الطاقة .

يقول كومتن A.A. Compton رئيس جامعة واشطون « ان الايمان بالنسبة لى يبدأ عندما يتحقق الانسان من أن الحكمة العلوية هى التى أوجدت الكون فى الوجود وخلقت الانسان . وليس من الصعب على أن أعتنق هذه العقيدة لأنه لاجدال أو نزاع فيها ، فحيث وجدت الخطة وجدت الحكمة التى لا يمكن أن تخفى عن العالم حتى يشهد للحق الالهى فى النص الكتابى « فى البدء خلق الله السموات والأرض » .

حقا ما أصدق الوحى الذى نزل على فم ارميا نبى الرب عندما قال : « يا أرض يا أرض يا أرض اسمعى كلمة الرب . خزى الحكماء ، ارتاعوا وأخذوا ، ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم .. لا يفتخرن الحكيم بحكمته

ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغنى بغناه ، بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفنى أنى أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا فى الأرض » (ارميا ٢٢ : ٢٩ ، ٩ : ٢٣ و ٢٤) .

٢ ــ الافتراض الثانى : ينص الافتراض الثانى للتفسير المسيحى للعلم أن اعلان الله يتضمن جانبين . فقد أعلن الله نفسه فى الطبيعة التى هى خليقته ؛ ثم أعلن نفسه أيضا بصفة خاصة فى الكتاب المقدس ، لأن الانسان لا يقدر أن يدرك الله من عالم الطبيعة فحسب . وقد يعمل العلماء الى الأبد بلا توقف ولكنهم لن يعرفوا الله وما ينتسب اليه . وقد يظن كثيرون من غير المؤمنين أن الانسان سيتمكن فى النهاية من معرفة كل شىء عن كل شىء . أما الفكر المسيحى فينكر ذلك كلية ، فليس الانسان سوى مخلوق خلقه الخالق ولذلك لا يقدر أن يعرف الله من البحث والاستقصاء فى الخليقة فحسب لأنه يحتاج الى اعلان خاص ليعرف الله،

والاعلان الخاص هو كلمة الله التى جاءت فى الكتاب المقدس « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ؛ ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيرا لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى .. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم (رومية ١١ : ٣٣ و ٣٤ ، اش ٥٥ : ٨ و ٩) .

يرى غير المسيحى أن الكتاب المقدس شأنه شأن أى كتاب آخر . أما المسيحى فهو يقبل الكتاب المقدس بالايمان . على أن ايمان المسيحى فى الكتاب المقـدس مؤيد بأدلة خارجية وداخلية تبرهن صدق ما قاله الرسول بطرس : « عالمين هذا أولا أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص . لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢٠ و ٢١) .

تبدأ جميع العلوم — الى حد معين — بالمجهول ، ولهذا

يعمل العلم فى أبحاث العلوم مستندا الى مبدأ الايمان فى البحث • والحقيقة أن الايمان الذى لا يقود الى علم هو ايمان خرافى • ان كل علم يفترض مقدما الايمان فى النفس، وفى الضمير ، ويفترض أيضا الايمان بصحة القوانين ونظام التفكير المنطقى ، ويفترض الايمان فى شىء عالمى مختبىء خلف الظواهر الطبيعية الخاصة ، ويفترض أيضا الايمان بالمبادىء الأولية للعمل العلمى •

وعندما يدخل العالم الى معمله فى الصباح ، يدخل وفى قلبه ايمان أن القوانين الطبيعية التى استخدمها بالأمس صالحة للاستعمال اليوم ، فالأجسام تسقط بفعل قانون الجاذبية ، وعجلة الجاذبية تساوى ٩٨٠ سنتيمترا فى الثانية لكل ثانية ، وأن الماء يغلى عند درجة ١٠٠ مئوية تحت ضغط ٧٦٠ مليمترا من الزئبق ، وكل القوى التى تمسك ذرات المادة معا سوف تمسكها اليوم كما بالأمس • أما المسيحى فانه يبدأ بالايمان ، والايمان بالله الذى أعلن ذاته

بصورة محدودة فى الطبيعة ، ولكنه أعلن ذاته بصــورة كاملة واضحة فى كلمته المقدسة •

ان غير المسيحى يريد أن يبدأ بالايمان فى الطبيعة وفى النفس لكى يصل الى رب الطبيعة والنفس • ولكن ذلك الصنف من الايمان يبدو أمامنا كايمان أعمى يتمسك بلا شيء • والفرق بين المسيحى وغير المسيحى ، أن المسيحى يبدأ من السماء لكى يصل الى الأرض وما فيها وما عليها ، أما غير المسيحى فهو يريد أن يبدأ من الأرض لكى يصل الى السماء ولعله يريد أن يبنى برجا مع أهل بابل القديمة • يبدأ المسيحى بالايمان بغير المنظور لكى يصل الى المنظور، أما غير المسيحى فهو يريد أن يبدأ من المعلوم لكى يصل الى المجهول ، ومن المنظور لكى يصل الى غير المنظور • الايمان المسيحى يبدأ من غير المحسوس فيصل الى المحسوس أما الايمان العلمى فيبدأ من المحسوس لكى يصل الى غير المحسوس • وان كانت القضية الفلسفية تبدأ من الشك لكى تصل الى اليقين ، فان القضية الفلسفية المسيحية تبدأ

من الايمان لكى تصل الى اليقين . وقد عبر كاتب الرسالة الى العبرانيين عن ذلك بقوله : « بالايمان نفهم أن العالمين أتقنت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر » (عب ١١ : ٣) . ويؤيد فكرة كاتب العبرانيين ما قاله السيد المسيح لمرثا أخت لعازر : « ألم أقل لك ان آمنت ترين مجد الله » (يو ١١ : ٤) .

٣ ــ الافتراض الثالث : والافتراض الثالث الذى تقدمه المسيحية فى تفسير العلم هو وجود الخطية والشر فى العالم. فالعالم بالنسبة لغير المسيحى فى حالة طبيعية ، فالحروب وأخبار الحروب والقتل وسفك الدماء ، والغش وجرائم الناس ، والأمراض والأوبئة ، وفشلنا كبشر فى فهم نفوسنا وفهم غيرنا ، وعدم فهمنا للكون الذى حولنا ؛ وفشلنا فى فهم الحياة ومغزاها وهدفها ... كل هذه مع غيرها ــ عند غير المسيحى ــ دلالة واضحة على نقص الانسان وعدم بلوغه طور الادراك الكامل بعد . ويرى غير المؤمنين أن كل ما يحتاجه الأمر لعلاج هذه المشاكل هو أن يعطى الانسان

وقتا كافيا فيستطيع عن طريق حتمية التاريخ أن يقـوى عنصره ومن ثم يتمكن من هزيمة المرض ويتعلم التعايش السلمى مع غيره بدون حرب •

أما العالم الذى يعتنق الايمان المسيحى فيؤمن أن الخطية وحدها هى التى شوهت جمال هذا العالم ، وجعلت عقل الانسان وحياته بهذه الصورة الفاسدة القبيحة • وبعد أن أفسدت الخطية كل مرافق الحياة ، صار الانسان يعيش فى عالم مشوه « فالعالم كله قد وضع فى الشرير » (١ يو ٥ : ١٩) • ويقول عنه الرسول « لأن الخليقة نفسها أيضا ستعتق من عبودية الفساد الى حرية مجد أولاد الله • فاننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا الى الآن » (رومية ٨ : ٢١ و ٢٢) •

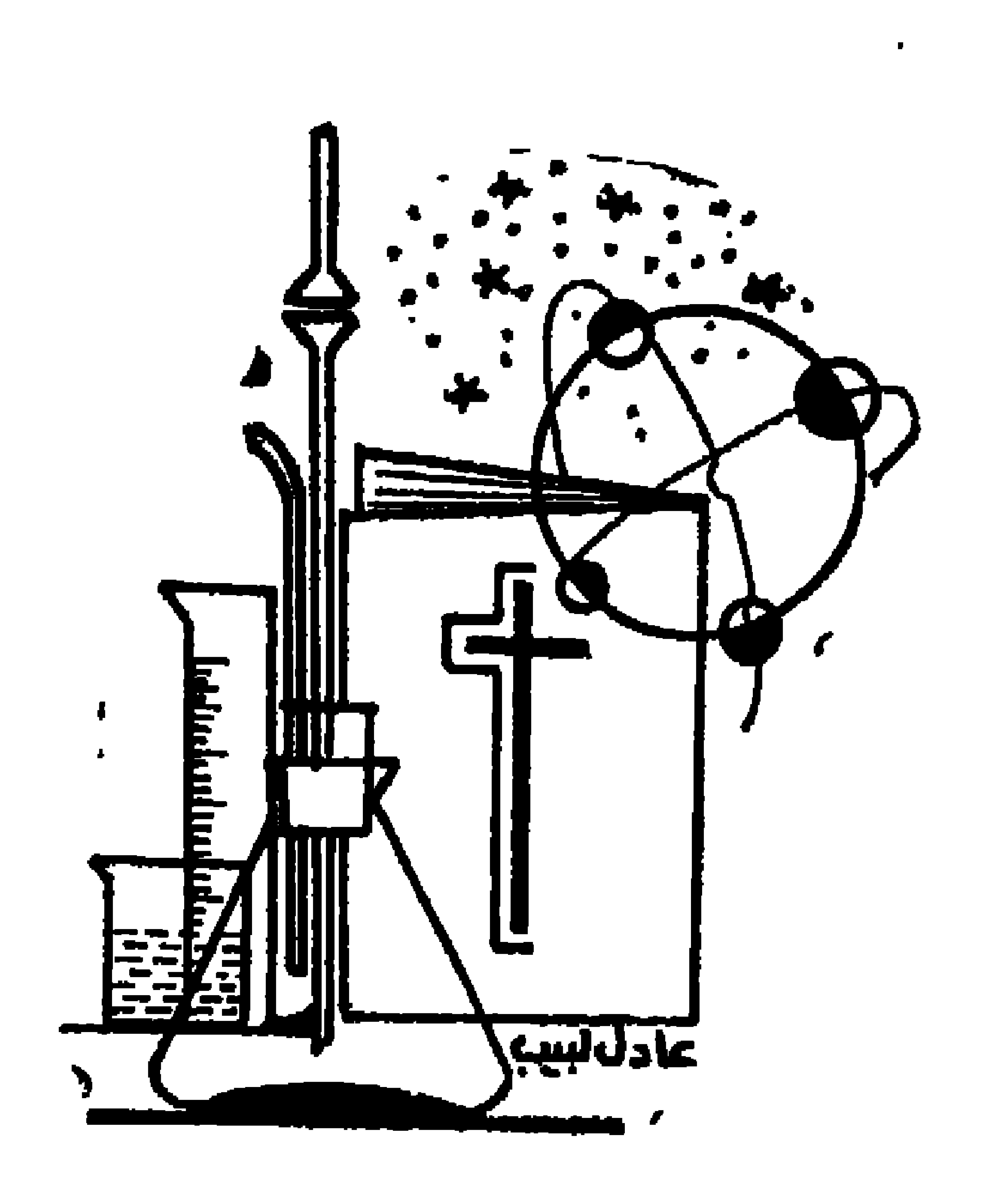
نعم فالمسيحى يرى الخطية عصيان الله ، وفعل الخطية هو فعل التعدى « والخطية هى التعدى » (١ يو ٣ : ٤) ولكن العودة الى جمال الحياة الأولى مستطاع ولـكن

بطريقة معجزية • ولن يتم ذلك الا عن طريق معجزة الولادة الجديدة وحلول الروح القدس ثم السلوك كما يحق لانجيل المسيح وهكذا يحصل الانسان على الحياة الأفضل ليس من الطبيعة ولكن مما فوق الطبيعة •

رأينا مما سبق أن المسيحية فى تفسيرها للعالم تفترض ثلاثة دعائم رئيسية وهى . أن الله خلق السموات والارض فى البدء ؛ وأن الله أعلن ذاته فى الطبيعة بصفة عامة وفى الوحى المقدس بصفة خاصة ؛ وأن الخطية شوهت العالم وأفسدت الطبيعة الانسانية . وأن المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص من الخطية •

الفصل السادس

التعاون بين المسيحية والعلم



ربما كان من سوء طالع المسيحية أن الذين تشيعوا للعلم كان سوادهم من غير المسيحيين • وقد علم هؤلاء العلم فى جامعات بعيدة عن الايمان • وتبعا لذلك ظن كثـيرون من المؤمنين أنه من الأفضل أن يبتعد المؤمن المسيحى عن ميدان العلم ومدارسه حرصا على ايمانه وعقيدته ويشغل نفســه بالخدمة الدينية العمليــة • ولكن بمرور الأيام ومع طفرة العلم تراجع المسيحيون عن هذه النزعة وشعروا أن المسيحى يستطيع أن يخدم سيده فى ميدان العلم كواحد من العلماء •

١ ــ ماذا يقدم العلم للمسيحية ؟ ونحن نسأل فى ميدان التعاون . هل استطاع العلم أن يقدم شيئا للمسيحية ؟ نعم فقد استطاع العلم أن يخدم الانسانية فى ميادين كثيرة وكان بذلك يمجد الله فى خليقته • ولقد اختبر العلماء هذه الحقيقة، وكلما درس الواحد منهم وتعمق كلما ظهرت أمامه رســالة العلم رائعة وعجيبة أمامه •

يقول تشارلس أغسطس ينج C. A. Young أستاذ الفلك ، فى جامعة برنستون : « أعتقد أنه أمر لا يحتاج الى

سؤال فكما أن الفكر الانسانى تقدم فعرف الكثير عن العالم المادى كذلك أيضا أعلن له الكثير من جلاله وعظمة خالقه» .

ان المبادىء الأولى فى علم الكيمياء التى تظهر فى الجدول الدورى الذى يحوى مجموعة من الرموز والأرقام تمثل العناصر الموجودة فى الطبيعة مرتبة فى نظام تام — ويعتبر هذا الجدول الدورى آية فى النظام والترتيب فى العالم المادى بالنسبة للكيمائيين الطبيعيين . وبالنسبة الى الكيماوى الذى فتح الرب عينيه بالروح القدس فان ترتيب العناصر فى ذلك الجدول يعتبر مثالا لدقة صنع الخالق عز وجل .

وهناك حقيقة مدهشة تلقى بعض الضوء على لغز هذا الخلق من جديد . فان الخلايا فى المراحل الأولى من تطورها اذا تفرقت صار لكل منها القدرة على خلق حيوان كامل ، ومن ثم فانه اذا انقسمت الخلية الأولى الى قسمين ، وتفرق هذان ، تطور منهما فردان . وقد يكون فى ذلك تفسير لتشابه التوامين ، ولكنه يدل على أكثر من ذلك ، وهو أن

كل خلية فى البداية ، يمكن أن تكون فردا كاملا بالتفصيل فليس هناك شك فى أنك أنت فى كل خلية ونسيج •

وقد أشار داود فى مزمور ١٣٩ فى بساطة الى الطريقة العجيبة التى يمكن بها لخلية أن تتطور الى كائن مفرد : « لأنك أنت اقتنيت كليتى ، نسجتنى فى بطن أمى • أحمدك من أجل أنى قد امتزجت عجبا • عجيبة هى أعمالك ؛ ونفسى تعرف ذلك يقينا • لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ، ورقمت فى أعماق الأرض • رأت عيناك أعضائى وفى سفرك كلها كتبت يوم تصورت اذ لم يكن واحد منها (مز ١٣٩ : ١٣ — ١٦) •

حقا ان هناك كثير من عجائب الاحساس لا تزال فوق ادراكنا • اننا حتى الآن لا نقدر أن نفهم الغريزة ، ولا نقدر أن نضع قواعد عامة ونحن مطمئنون على أساس معرفة ناقصة ، والى أن نسلك كل حاسة كسبتها الكائنات الحية فاننا سنبقى عاجزين عن ادراك الارتباط الحقيقى الذى بين قوانين الطبيعة ، وسنظل نبحث فى اللانهائية بفهم جزئى •

اننا عندما نبحث فى السموات وراء الفلك يطالعنا قول المرنم : « السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يخبر بعمل يديه (مز ١٩ : ١) ونحن نستطيع اليوم أن نستخدم العلم لكى تثبت وتوضح الأقوال الالهية فى الكتاب المقدس • وليس معنى ذلك أن الكتاب المقدس فى حد ذاته يحتاج الى اثبات أو تأييد ولكن هى الخطية التى أفسدت عقولنا وجعلت الأمريحتاج الى دفاع عن صحة دعواه • وقد خدم علم الحفريات قضية المسيحية فقدم أدلة ثابتة تؤيد النصوص الكتابية فيما يتعلق بقصة سدوم وعمورة ؛ وسقوط أريحا وحكمة سليمان وقوته ؛ وأشياء أخرى كثيرة • ان الكتاب المقدس ليس كتاب علم ، ولكن اشاراته العلمية جديرة بالملاحظة •

يقول اشعياء : « من كال بكفه المياه ، وقاس السموات بالشبر ، وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان » (اش ٤٠ : ١٢) ويقول داود : « يجمع كند أمواه اليم ؛ يجعل اللجج فى أهراء » (مز ٣٣ : ٧) وفى

كلمة الله التى نطق بها اشعياء وداود نرى المياه وقد قيست.
وبالرغم من الكميات الهائلة من المياه على الكرة الأرضية ،
أوجد الله النسبة الصحيحة بين مساحة سطح الأرض ومساحة
سطح الماء . ولو وجدت على الأرض كميات أكبر أو أقل
من الموجود حاليا ، فان ذلك يؤثر بصورة عظيمة على سقوط
المطر . ولكن ما الذى يحدد هذه النسبة الدقيقة بين اليابسة
والماء ؟ ونرى حكمة الله الكاملة فى تصميمه لقاع المحيطات
التى صممت بأحواض كبيرة عميقة بدقة متناهية حتى أنه لو
زادت كمية المياه بنسبة صغيرة ، فان الأرض تغرق بسبب
فيضان البحار أو عملية المد والجذر وليس أدل على صدق
هذه الحقائق العامية من قول الحكيم : « لما رسم دائرة على
وجه الغمر . ولما أثبت السحب من فوق ، لما تشددت ينابيع
الغمر ، لما وضع للبحر حده فلا تتعدى المياه تخمه » (أمثال
٨ : ٢٧ — ٢٩)

ولقد حل العلم الى الأبد اللغز القديم أيهما جاء قبل
الآخر الدجاجة أم البيضة ؟ انه لم يكن هذه ولا تلك بل

جاءت قبلها خلية أولية . والبيضة ليست الا غذاء للجنين ، وهى تحتوى تلك الخلية الفريدة التى لقيت عشيرها . وحين تتحد الجينات التى فى الخلايا وتنقسم فان هذه الجينات مع السيتوبلازم تؤدى الى انتاج دجاجة تضع بيضة أخرى . وأمام هذه الحكمة يطالعنا قول ارميا : « هكذا قال الرب صانعها .. أدعنى فأجيبك وأخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها » (ارميا ٣٣ : ٢ و ٣) .

وقد استطاع العلم أن يرد على الحاد هيكل Haeckel عندما قال : « اعطنى مواد كيماوية ووقتا وأنا أصنع لكم انسانا » ولكنه أغفل فى بجاحته وحدات الوراثة . « الجينات » وأغفل الحياة نفسها . لقد كان عليه لو استطاع أن يجد وينظم الذرات غير المرئية ووحدات الوراثة — الجينات — ويمنحها الحياة . وحتى فى هذه الحالة كان احتمال النتيجة (بنسبة ملايين الى ١) انه كان يأتى بوحش لا مثيل له . ولو أنه نجح فى ذلك لقال ان الأمر لم يكن مجرد صدفة ولكن ثمرة عقله ومجهوده .

والأمور التي لم يتحدث عنها الكتاب المقدس بشأن العلم، تعتبر في نفس الأهمية كالأمور التي يتحدث عنها • وغير خاف أن كثيرا من الكتابات القديمة غير المسيحية تضمنت اشارات علمية ولكن البحث العلمي أثبت عدم صحتها بصفة قاطعة • فقد جاء في الاخبار القديمة أن عناصر الخليقة هي الهواء والنار والماء • لكن العهد الجديد يتكلم عن العناصر بمفهوم علمي سليم • وقد ورد الاستعمال على لسان بطرس الرسول : « تنحل العناصر محترقة » (٢ بط ٣ : ١٠) • والحقيقة أن هـذا النص قد لبس معنى جديدا منـذ أن اكتشف العلم الطاقة الذرية •

وهكذا نرى أن الاشارات العلمية في الكتاب المقدس ، قد أثبت العلم دقتها دقة متناهية • ولو وردت في الكتاب المقدس اشارة علمية غريبة لم يهضمها العلم اليوم ، أو لم يقدر أن يفسرها ويعللها ، ولئن كانت غامضة ، فالواجب أن ننتظر دون أن نحكم عليها حتى تفسر الحقائق العلمية تفسيرا كاملا ، وحتى يفسر النص تفسيرا لغـويا وتاريخيا

صحيحا • ومن يدرى فربما كشف العلم عن حقائق علمية جديدة فى المستقبل يمكن أن تفسر فى ضوئها كل الاشارات العلمية الغريبة فى الكتاب المقدس •

٢ ـ ماذا تقـدم المسيحية للعلم : وفى ميدان التعاون بين المسيحية والعلم نعود لنسأل : ماذا تستطيع المسيحية أن تقدم للعلم ؟ وأول ما تقدمه المسيحية الهدف ؛ فالعلم يحتاج الى هدف • أما هدف العلم من الوجهة المسيحية فيشمل جانبين ـ تمجيد الله وخير الانسان • وهذا الهدف المزدوج ينسجم مع الوصية الالهية كما قدمها يسوع : تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك •• وتحب قريبك كنفسك (مرقس ١٢ : ٣٠ و ٣١)•

ورغم أن تاريخ الكنيسة الكاثوليكية مع العلم تاريخ حافل بالمآسى ، الا أن الحركة البروتستانتية فى عصر النهضة احتضنت العلم • ففى أيام النهضة تمتع العلم بحرية لم يعرفها طوال أجيال طويلة مضت • والدول التى كان للمسيحية فيها شأن عظيم هى الدول المتقدمة والمتفوقة علميا ، وهكذا

عملت المسيحية على احتضان العلم ورفعته ورقيه ، فالمسيحية تضع العلم فى مكانه الصحيح •

ويكفى المسيحية فخرا أنها قدمت للعلم طائفة من كبار العلماء المسيحيين • ولا نعرف من علماء القرن العشرين من هو أبعد شبوطا فى التـــدين من الدكتور الكسس كاريل Alexis Carel المتخصص فى بحوث الخلية وصاحب جائزة نوبل سنة ١٩١٢ • وخلاصة ايمان هذا العالم الجليل أن الله لازم للانسان لزوم الماء والأكسجين ، ومن خـــلال تجاربه فى الحرب العالمية الأولى والثانيـــة شعر بأثر المادية فأرجع اليها الكثير مما يتعرض له الشباب من خال عقلى وأمراض نفسية وانحطاط خلقى •

ويشبه كاريل فى ايمانه المسيحى طبيب آخر فرنسى عمل مع الأستاذ كورى وزوجته • كان رئيسا لمعهد الدراسات العليا بجامعة السربون ونال فى سنة ١٩٤٤ جائزة جامعة لوزان فى فلسفة العلوم • وهذا الرجل اســـمه دى نوى "Denouy" مؤلف مصير الانسان "Human Destiny"

وملخصه أن العقيــدة لا تقاس بالمنطق والحساب ولا يقال عن الضمير الانسانى انه يؤمن بجدول الضرب أو التجربة العملية ، وانما طبيعة الايمان من طبيعة الحياة وهى سر لم توضحه حتى اليوم نظرية من نظريات العلوم وملخص الايمان عنده ما قاله الفيلسوف الأسبانى يونامونو "Unamuno" « ان اعتقادك وايمانك بالله هو أن ترغب فى وجوده ،وتزيد على هذا أن تبنى عملك على أنه موجود » .

وقال دى نوى : « ليست الصورة التى تتمثلها لله هى التى تثبت وجوده وانما يثبت وجوده ذلك الجهد الروحانى الذى نبذله لمعرفته واختباره ، وكذلك الفضائل انما يعول فيها على شعورنا بها واختبارنا لها لا على نتائجها » .

ومن العلماء المؤمنين الذين قدمتهم المسيحية للعلم روبرت بروم R. Broom عضو الجمعية الملكية الانجليزية ، ووليم براون W. Brown أستاذ علم النفس بجامعة أكسفورد وصاحب التجارب المشهورة فى العلاج النفسانى . وقد قال

براون ان تصحيح النفس المعوجة هو ردها الى الشعور بالقيم الروحية العليا والقدرة التى تمليها ؛ وما من نفس تمرض وتنحرف وفيها ثقة بالله المحيط بكل شيء وبالجمال والحق والخير . وأن الحياة الدينية هي قوام هذه الصحة النفسية . ويفرق الدكتور براون بين الفردية والشخصية أي بين كون الانسان فرد Individual وكونه شخصا أو Personality وعنده أن الشخصية هي الفردية وزيادة ، وأن الشخصية روحانية أقرب الى الاتصال بالروحانية العليا أو الى ذلك الهيام الروحاني الذى يجمع بينها وبين الروحانية الشاملة . وهذه الفكرة هى التى عبر عنها السيد المسيح بقوله : « من يهلك نفسه من آجلى يجدها » (مت ١٦ : ٢٥) .

أما السيد أرثر تومسون Thompson فى جوابه للسائلين عن عقيدته فى كتاب العلم والدين قال : « اذا كان العلم صيغا وصفية ، وكان الدين فى جانبه العقلى تفسيرا علويا أو خفيا فلا موجب للتعارض الحاسم بينهما .

وتسائل الرجل : « ألا يمكن أن يستعين العلم بالمسيحية؟
فقال انه يوشك أن يسمع الاجابة بالنفى القاطع ، ولكننا
ينبغى أن نفهم أن العلم للحياة وليست الحياة للعلم » .
وان كان عمل العلم المباشر أن يفهم فعمله غير المباشر أن يزيل
الشرور ويزيد الخير ، ومن الشعور الدينى يستمد العالم
ثروة حية هى نعم العون للبصيرة فى الكشف عن المجهول .

ثم ختم كلامه قائلا ما معناه ان الانسان يجهل حاجته اذا
وضع الدين أمام العلم موضع المناجزة وقال لنفسه اما هذا
أو ذاك .. « ونحن على يقين أننا بحاجة الى مزيد من العلم
ومزيد من الدين » .

أما العلامة رينولد نيبور Niebur فهو يريد أن يعرف
الانسان بما يعبده لا بما يأكله كما يعرفه الماديون ، ولا بما
يقبضه من أجر كما يعرفه الماركسيون . وما دام الانسان
العصرى يخلط بين العقل والروح ويحسب الاثنان ملكة
واحدة فى النفس البشرية فهو فى ضلال عن حقيقته . وقد
يلتفت قليلا الى الفارق بين التقدم العلمى والتدهور الروحى

فى العصر الحاضر ليفهم أن العقل والروح لا يترادفان فى المعنى والعمل • وسيظل الناس فى حرمان من السلام ما داموا فى طلب السطوة معرضين عن طلب المحبة ، وانما تأتى المحبة عن طريق الروح لا عن طريق العقل والمادة •

ولا يسع المجال لعرض أبطال الايمان المسيحى الذين كان لهم نصيب كبير فى النهضة العلمية فى العالم • ويكفى أن تقدم المسيحية هـذا الطراز من الرجال الذين يتسمون بالاستقامة والنزاهة روحيا وعلميا على حد سواء •

ولكن هل تتعاون المسيحيـة مع العلم وهى ترى بعض الفلاسفة والعلماء يستحدثون نظريات وفلسفات تطعن الدين فى صميمه ، وتهدم أسمى وأقدس مبادئه ، وتجرف ورائها كثيرا من هواة الفلسفات العصرية ؟ • وهل تضع المسيحية يدهـا فى يد العلـم الذى يخرج آلات الدمار والخراب للشعوب من قنابل ذرية وغيرها • وكيف تسير المسيحية مع الذين يزهقون الأرواح عن طريق العلم ويسفكون الدماء فى سبيل المطامع الشخصية أو الدولية • وهل من المعقول

أن يقوم تعاون أو شركة بين العلم الذى قدم للعالم المدنية الحديثة بشرورها ومفاسدها حتى خلع الانسان عن نفسه برقع الحياء والخجل ؟ وأسئلة كثيرة تفرض نفسها فى هذا المجـال .

والحقيقة أن اللوم فى كل الهمسات السابقة لا يقع على عاتق العلم ذاته ، ولكن يرجع الى الطبيعة البشرية الفاسدة التى تحول الحقائق العلمية السامية فى مجـراها الملتوى الفاســد . ولا يعيب العلم أنه أباح حرية الفكر والبحث ان كانت أفكار الناس قد تشوشت وعميت بصائرهم عن الحقائق الروحية التى تزداد على مر العصور قوة وثباتا . وقد لاحت تباشير التفاهم والتعاون بين المسيحية والعلم فى وجود كثير من العلماء والفلاسفة الذين يهتدون بهديه. وليس الأصل فى العلم اختراع القنبلة الذرية التى دمرت هيروشيما ، ولكن اكتشاف هذه الحقيقة العلمية العظيمة وهى امكان تحويل المادة الجامدة عن طريق تفتيت ذراتها الى طاقة جبارة قوية عظيمة كان يمكن أن تستخدم لخدمة

الانسان ورفاهيته لولا ظروف الحـرب التى استحثت العلماء لاخراج ما يضمن النصر لبلادهم • أما عن الحرب، فالحرب شر قديم قدم الجنس البشرى على الكرةالأرضية•

وهكذا تحولت تلك القوة الذرية الى تلك الوسائل الفتاكة ــ أعنى القنابل الذرية • وهكذا الحال مع باقى آلات الحرب المدمرة • وليس الأصل فى مظاهر المدنية المختلفة الا العمل لراحة الانسان والترفيه عنه ، الا أن ناموس الخطية الكائن فى أعضاء الناس حولها الى وسائل للنجاسة والدعارة • ومن ناحية أخرى يعيب بعض المتعلمين على الدين جموده ويصفون رجال الدين والمتدينين بالتزمت وضيق الأفق والفكر • ولكن ان كان العيب فى المسيحيين فليس العيب عيب المسيحيــة نفسها • انمــا العيب عيب الجهلاء وأدعياء الدين والديانة الشعبية والذين شــوهوا الحقائق الدينية حسب ميولهم الفاسدة • ونحن نؤمن أن العالم لا يمكن أن يصل الى ضالته المنشودة من سلام وسعادة الا باتحاد هاتين القوتين ، قوة العلم وقوة الدين •

وعندما تتحد المسيحية مع العلم يحل السلام محل الحرب والخصام ، والحب والتضحية بدل البغض والكراهية ، والطهارة والقداسة بدل الدعارة والنجاسة .

ان قوة العلم اذا ما وجهتها قوة الدين جعلت منها عبدا لنفع الانسانية جمعاء ، بدلا من ذلك السيف المسلط الذى يهدد البشرية بالهلاك والفناء . وقوة الدين اذا ما وجهتها قوة العلم حفظت الانسانية من الشتات والخزعبلات ووقتها شر محاكم التفتيش وصكوك الغفران وتسلط رجال الدين الأعمى على الشعب البسيط ، الأمر الذى كان وصمة عار فى جبين المسيحية وكان العلم حرى بالقضاء عليها .

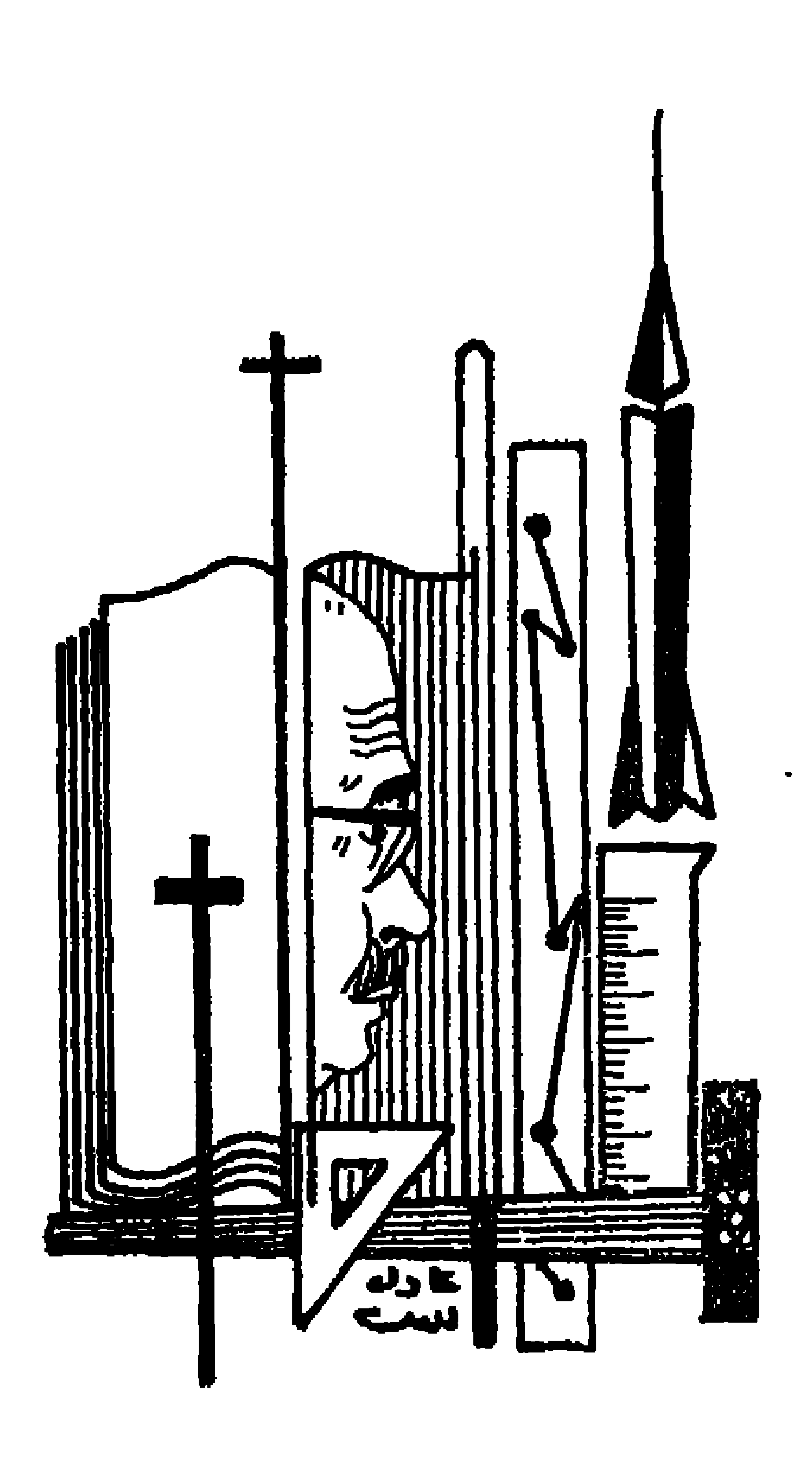
وفى كلمة الله نرى الرب وقد قدم للانسان كل شيء لكي يكون خاضعا تحت قدميه . ويقول كاتب العبرانيين اقتباسا من المزمور الثامن : « ما هو الانسان حتى تذكره أو ابن الانسان حتى تفتقده . وضعته قليلا عن الملائكة . بمجد وكرامة كللته وأقمته على أعمال يديك . أخضعت

كل شيء تحت قدميه » (عب ٢ : ٧و٨) • ومن روح سفر التكوين قدمت المسيحية سلطان البحث فى الخليقة للانسان « باركهـم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوا وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السـماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض (تك ١ : ٢٨) •

وفى كلمة الله امكانية الدعوة الالهية للانسـان للخدمة العملية فى الكيمياء أو الطبيعة • وهنا أيضا نرى الدعوة الالهية لنداء الطب الانسانى فيتفرغ الانسان لخدمة المرضى وشفاء الأمراض • ويقول الحكيم : « حتى تميل أذنك الى الحكمة وتعطف قلبك على الفهم • فحينئـذ تفهم مخافة الرب • وتجد معرفة الله ، لأن الرب يعطى حكمة • من فمه، المعرفة والفهم (أم ٢ : ٢و٥و٦) • ان المسـيحية تملك الكثير وتقوم على الكثير فسيدها « مذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » • وهى لذلك تستطيع أن تقـدم للعلم كنوز ولآلىء العالم أجمع •

الفصل السابع

الخلاصة والخاتمة



ومن كل ما سبق فى هـذه الدراسة نرى الدين والعلم رفيقين قديمين ، لا نقيضين متضادين • انهما قديمان قدم الكون وما فيه من عناصر ومخلوقات ، وكل منهما يسعى بطرقه الخاصة الى السمو بالكون كله وما فيه من خليقة وما عليه من حياة • فقد كانت الأرض فى بداية خلقها خربة وخالية من كل شىء ولكنها أصبحت اليوم عامرة فى نظـام رائع هو نتاج العلم المتعاون مع الدين •

ومن تاريخ الصراع بين العلم والدين خرجنا بحقيقتين • فقد يخطىء رجل الدين ، وقد يخطى أيضـا رجل العلم • قد يخطىء الاثنان معا وهما يواجهان مسئولية البحث وراء الحقيقة ، ولكن شـكرا لله ان الحق لا يتركهما فى تخبط أو تيهان ، بل يأخذ بيدهما كل واحد على حدة ، أو الاثنين معا، ويقودهما الى الحياة الأفضل والنور الأكمل والأوضح • وان كان العلم قد نشأ أول ما نشأ فى عقول البشر ، فان الدين نشـأ فى قلوبهم ، والحياة لا تسـتقيم بدون القلب والعقل معا • ان العلم والدين تطورا من شرارة صـغيرة

فيها بصيص ضئيل من النور الى شمس مشرقة وذلك عبر السنين الطويلة والأجيال المتعاقبة .

ولم يخف على الدارسين لحركة صراع العلم والدين ، أن الدين قد وصل الى قمته ، عندما كان العلم — فى ذلك الوقت — فى مهده وبدايته . وعندما وصل الدين الى القمة لم يكن من يجرؤ على مقاومته أو مجرد معارضته . أما عندما بزغت نهضة العلم فى أوائل القرن التاسع عشر ، تكشفت له الأفكار الجديدة التى لم تكن مألوفة عند رجال الكنيسة الذين وصل بهم الحال الى الاستكانة والتعالى مع الاستبداد . ومن هنا كان طبيعيا أن يقوم النضال العنيف بين الجانبين الى ما يقرب من نصف قرن من الزمان . ثم قام علماء متدينون ، كان لهم الفصل ، فوفقوا بين الكنيسة والعلم . وظهر من رجال الكنيسة علماء فى علوم الطبيعة ، كما ظهرت جماعة من العلماء الملحدين استصعبت التوفيق بين ما هو دينى ، وما هو

علمى • ولعلك وجدت فى دراسة التفسير المسيحى للعلم محاولة لفهم العلم من وجهة النظر المسيحية •

...

ولعل فيما سبق ما يوقفنا أمام مسئولية كبرى ان كنا رجال دين أو رجال علم • ففى كثير من الدوائر العلميــة يسكن أن تظهر مخافة الله : وكمــا أن كثيرين من العلمــاء تنقصهم معرفة الفكر الدينى معرفة صحيحة ، كذلك نجد كثيرين من رجال الدين تعوزهــم معرفة فلســفة العلم • واذا كان العلماء مسئولين عن ما نســبوه من خطأ لبعض رجال الكنيسة ؛ فان رجال الكنيسة مسئولون عن صدامهم مع العلم أكثر من مرة دون فهم • واذا قدر للفريقين أن يتفقا تأسست شركة قوية بين العلم والدين • ان الله لايترك نفسه بلا شاهد فى الدين وفى العلم أيضا •

واليوم وقد دارت رؤوس النــاس بنشوة الانتصارات العلمية فى الغرب والشرق ، أسوق الى كل الذين يؤمنون بقوة الانسان ويؤثرونها على قوة الله ذلك القول المأثور عن

عالم اسمه رومانس Romance قضى حياته طبيعيا مسرفا ومتطرفا . ولكن الرجل أحس بالخسارة التى لحقته فى نفسه فعاد الى ايمانه . وقال رومانس فى مجلة رفيو Review Contemporary . « أرانى مضطرا أن أقف بعيدا كل البعد عن موافقة الذين يقولون ان ظل العقيدة الحديثة خير بديل لمجد العقيدة القديمة الآخذة فى التقلص ولا أرى عيبا أن أصرح وأعترف بأن انتفاء وجود الله ، يفقد العالم روح الجمال والنظام ، ولو أنه من الآن فصاعدا لابد أن يرتفع شأن تعليم المسيح القائل « ينبغى أن أعمل ما دام نهار . يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل » . بيد أنى أفكر أحيانا فى الفرق الهائل بين التعليم الذى كنت يوما أرحب به . وبين لغز الوجود الذى أصبحت أراه منعزلا بائسا بلا غاية وبلا نهاية . فأرى أنه من المتعذر على جدا أن أتملص من الآلام الحادة التى بدأت أشعر بها فى طبيعتى » .

والحقيقة أن علماء الأمس يختلفون عن علماء اليوم ،

لأن علماء اليـوم أضـيق اطلاعا ولكنهم أدق معرفة فى تخصصاتهم . أما علماء الأمس فكانوا يلمون بكل ماتحتويه دائرة العلم الضيقة فى ذلك اليوم . أما اليوم بعد أن تعددت فروع العلم واتسعت حدوده أصبح من المحال على العلماء استيعابها كلها . ان علماء اليوم يصرفون العمر كله فى علم واحد يتخصصون فى فرع واحد منه .

وان كانت المعرفة العلمية اليوم بهذه الحدود الضـيقة فهل فى امكان علماء اليوم أن يعالجوا أسئلة ومشاكل عالم الروح أو ما وراء الطبيعة ، أو عالم الأبدية وما بعد الموت، أو وجود الله ، أو غير ذلك من المشـاكل والأسئلة التى لا تدخل فى نطاق دائرة العلم ! وان استطاع هؤلاءالعلماء أن يتدخلوا فيما لا يعنيهم ، ويجيبوا على هذه المعضلات والأسئلة ، فماذا تكون القيمة العلمية لاجابة فئة لاتشتغل بغير المشاهدات والتجارب المادية والمحسوسة ؟

اننا نعتقد أنه آن الأوان أن يتصالح العلم مع الدين بعد هذا النور العلمي الذىوصلنا اليه اليوم ، وبعد أن اتسعت

مداركنا ولم تعد محدودة كما كانت من قبل . ففى الواقع أن نسبة عظيمة وغالبة من القضايا العلمية لا ترتبط بالدين، ان الدين لا يخبرنا عن المسـافة التى يبعـد بها القمر عن الأرض ، ولا يكشف لنا عن التركيب الكيمائى للشمس ، ولا يوضح لنا تشريح جسم الانسان أو الحيوان . وثمة حقيقـة أخرى أن الدين لا يخبرنا عن عمر الصـخور فى الطبيعة وتاريخها .

ونسـتطيع أن نقـول ان التحليلات الكيمائية ليست مسـئولة عن أعمال شارلمـان كما أن التاريخ لا يمكن أن يكون مسـئولا عن التحليل الطيفى . ان أهداف الوحى الالهى فى الكتاب المقدس واضحة تماما وهى ارشاد البشر فى طريق الحياة اليومية ، كما فى طريق الحياة الأبدية . ان الكتاب المقدس هو سبيلنا الذى يوصلنا الى السماء . . الى الله .

وعلى الجانب الآخر من هذه القضية نعلن أن الحقائق

العلمية المادية الصحيحة التي أثبتتها تجارب العلم لاتتعارض مطلقا مع الحقائق الروحية الدينية الصحيحة بل أنها تؤيدها ولا ننس أن لكل من العلم والدين دائرة مستقلة منفصلة عن الأخرى تماما لا تمسها ولا تعارضها . وجدير بالذكر أن العلم الحديث تنحصر مهمته فى كشف الحقائق العلمية ثم جمعها وتبويبها فقط دون ضغط عليها ، ودون تحميلها من المعانى ما لا تطيق كما كانت تفعل دور الصحف فى القرن التاسع عشر لمصالحها الخاصة . ويخيل الى أيضا أنه ليست من مهمة العلم الحديث أن يبحث فيما وراء الطبيعة ، أو فيما يكون خارجا على النظام الطبيعى ، ومتى وكيف حدث ، ولا حتى سبب وجودنا فيه .. كل هذا ليس للعلم الحديث شيء فيه كما أعتقد . ومن هنا رأينا أنه ليس لرجل العلم أن يدعى أنه أثبت أنه لا وجود لله ، ولا للثواب والعقاب أو الأبدية . ان من يزعم ذلك هو من دعاة المعرفة ان لم يكن من ناقصيها .

كتب سير شارل داروين الحفيد كتابا عنوانه « المليون

سنة القادمة » وهو عالم طبيعي مشهور فى العصر الحديث ويقرر داروين العصرى أن الانسان سيحتفظ بايمانه الدينى فى المليون سنة القادمة قياسا على المعهود من تاريخه القديم والحـديث • ويقول : « ان العقيدة على جانب عظيم من الأهمية بالنظر الى مستقبل البشرية لأن العقيـدة تبعث الأمل فعلا فى دوامها بعد صاحبها وفى سيطرة الانسان على مصيره بفضلها » •

وكتب الناقد اللورد فانسترت الذى قام بمهام السياسة الخارجية فى الوزارة البريطانيـة ؛ وقد سئل أن يقـدم المجموعة التى كتبها بعض المفكرين عن مسـتقبل العقيدة المسيحية فقال : « ان فقدان الثقة بالله على صلة بفقدان الثقة بأنفسنا ، وكلاهما لم يسعد أحدا ؛ بل أعقبا بعدهما خللا فى ميزان الحياة ، لم تصلحه مذاهب الشك والالحاد واللذة • ثم أشار الى فقدان العقيدة فى فرنسـا فقال انما ساقها الى المسالمة والاستسلام قبل الأوان ، والى فقدان العقيدة فى ألمانيا فقال انه ساقها الى بديل لها من العصبية

والنازية ، ولولا البحر حول الجزر البريطانية لساقهافقدان العقيدة الى مصير كهذا أو ذاك » .

ان تقدم الانسان الخلقى اليوم هو أثر من آثار الايمان بالله والخلود . والتدين يكشف عن روح الانسان ،ويرفعه بعد خطوة حتى يشعر بالاتصال بالله . ان دعاء الانسان الغريزى « يارب » أمر طبيعى لا ينكره العلم ، وأن أبسط صلاة تسمو به الى مقربة من خالقه .

بدون المسيحية والايمان كانت المدينة تفلس ، وكان النظام ينقلب فوضى ، وكان كل ضابط يضيع ، وكان الشر يسود العالم . فعلينا أن نتمسك بايماننا بالله ومحبة يسوع المسيح نحن فى وسط هذه الدوامة من الكشوف والاختراعات الحديثة . وعلينا أن نتمسك بالفضائل المسيحية فنجعل من الايمان المسيحى حقيقة تساند العلم وتشد أزره فى خدمة الانسانية وتحقيق مشيئة الله فى الوجود الانسانى .

ولو كان للمسيحية أن تشهد فى هــذا العصر العلمى فانها خليقة بتقديم أعظم اعلان : « الله الكامل فى المسيح» . ولو كان فى الكتاب المقدس اعلان يستحق التقدير العظيم من العلماء فلن يكون ذلك سوى الدلالة الكونية لشخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . ان الدلالة الكونية التى للمســيح ليست قاصرة على كونه كلمة الله فى الخليقة بل فادى الخليقة الذى ســيقدم للآب خليقة جديدة . ان يسوع هو مخلص البشر وهو مخلص كل خليقة الله وعمل يديه .

ان نداء المسيحية فى عالم اليوم هو المسيح الملك فى العلم وفى الحياة الانسانية . ومعرفة يسوع المخلص هى أهم حاجات الانسانية فى هذا العصر العلمى الفريد . وهــذه المعرفة هى الفرق بين الحياة الأبدية والعــذاب الأبدى . وعندما نعرف المســيح كرب واله فى حياتنا ، ونعترف به كخالق وفادى للعالم نستطيع أن نتوجه ربا على الكل .

حقا ان يسوع هو الخالق وهو الرب الفادى « فى البدء

كان الكلمة . والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . هذا كان فى البدء عند الله كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان » (يو ١ : ١ — ٣) . « فانه فيــه خلق الكل ما فى الســموات وما على الأرض ؛ ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم ســلاطين . الكل به وله قد خلق . الذى هو قبل كل شىء وفيه يقوم الكل » (كو ١ : ١٦ و ١٧) . « المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » (كو ٢ : ٣) .

ولمسة أخيرة للذين يتقولون ان المسيحية لا يمكن أن تثبت فى هــذا العصر الذى اجتاحته المادية الا اذا كانت مبنية على أسس علمية متينة تســندها أمام تيار العــلم الجارف ؟ ولكنى أثق أن الله ساهر على كلمته لكى يجريها وهو لا يمكن أن يترك نفسه بلا شــاهد فى هــذه الأيام « وانظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلســفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح » (كو ٢ : ٨) .

وكما كسبت المسيحية المعركة فى نضالها مع الفلسفات الوثنية القديمة .. فلا بد أنها ستكسب المعركة بقوة رب الجنود وهى تصارع اليوم مع المادية والالحادية . ان مسيحنا حى وهو هو أمسا واليوم والى الأبد . انه المنتصر الذى خرج غالبا ولكى يغلب فى كل عصر وأمة وقبيلة ولسان . « أين الحكيم . أين الكاتب . أين مباحث هذا الدهر . ألم يجهل الله حكمة هذا العالم . لأنه اذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة » (١ كو ١ : ٢٠و٢١) .

وكما أن سيدنا لم يترك تلميذه توما فريسة للشك بل ظهر له خصيصا وقال له : « لاتكن غير مؤمن بل مؤمنا » فلا بد أنه يظهر نفسه لهذا العصر العلمى العجيب حتى يزيل الشك وينير الأذهان الى معرفته ويقوى الايمان حتى يحق له القول : « أنت بلا عذر أيها الانسان » .

وهذه صلاة الايمان فى عصر العلم : « ربنا قدنا فى طريق مقصدك الأعظم ، وارفعنا الى مستوى الانسجام

الروحي معك ومع بعضنا البعض • وهبنا اللهم القدرة على أن نصبح جزءا من التقـدم نحو الكمال الروحى فى عصر استبد فيه بناء العلم • وساعدنا حتى تتم قولك « كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل » • وقدنا يارب الى حيث نكون فى خدمتك وبذلك تجعلنـا أدوات لتنفيذ مشيئتك • أعنا يارب فالانسان لايقوم وحده فى هذا العالم مهما سما العلم ومهما تقدمت الحضارة • فى اسـم فادينا المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم آمين •



هذه السلسلة

لمواجهة الأسئلة الكثيرة العميقة التى تواجه دارس الكتاب ومتأمل الحياة بعمق . إنها تحاول بكل أمانة أن تجيب على هذه الأسئلة متوخية الدراسة العلمية الواضحة تحت إرشاد روح الله القدوس .

وهذا الكتاب

يظهر أن العلم والمسيحية لم يكونا يوماً ما متناقضين ، فكل منهما فى جوهره يدعو إلى حرية الإنسان وسموه أما ما يظهره التاريخ من نضال مرير فلم يكن بينهما بل كان بين المسيحيين والعلماء الذين لم يتعمقوا فى فهم المسيحية أو العلم .